
جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
قطاع الكتب
أسامة بن زيد
أصغر قائد في الإسلام
للصف الثانى الإعدادى
العام الدراسى ٢٠١٢ - ٢٠١٣ م
غير مصرح بتداول هذا الكتاب خارج وزارة التربية والتعليم



جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
قطاع الكتب



أصغر قائد فى الإسلام

للصف الثانى الإعدادى

بقلم

على الجمبلاطى   عبد المنعم قنديل




أسامة بن زيد


دار نهضة مصر
للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إلى أبنائنا وبناتنا

طلبة وطالبات الصف الثانى الإعدادى

نقدم قصة البطل المسلم «أسامة بن زيد» تمشيا مع سياسة الوزارة فى تجديد وتطوير المناهج، لتتلاءم مع ميولكم، وتتناسب مع متطلبات العصر الحديث، الذى يشهد تطورًا فى شتى مجالات الحياة.

ونتمنى أن تجدوا فى هذه القصة «السيرة العظيمة» لأبطال المسلمين التى تفخرون بها، وتعتزون بانتمائكم لأبطالها، وتجدون فيها القدوة الصالحة التى يجب أن تقتدوا بها، وتتعلموا منها، حتى تجددوا مسيرة هؤلاء العظماء، وتعيدوا لأمتكم أمجادها ومفاخرها، وتبنوا لأنفسكم طريق العزة والنجاح.

ولعل أهم درس يجب أن تتعلمه أيها الطالب من قصة أسامة، هو أن النجاح فى الحياة وتحقيق الأمانى، طريقه الكفاح والنضال والحب والتفانى فى أداء الواجب؛

لأن الله ـ تعالى ـ لايضيع أجر من أحسن عملا.

والله ولى التوفيق

الفصل الأول



فى مكة المكرمة
« قبـــل الهجـــرة »

تقديم:

اشترت السيدة خديجة بنت خويلد، زيد بن حارثة، من سوق عكاظ بمكة المكرمة، ثم أهدته إلى زوجها، محمد ﷺ، وقد أعتق النبى مولاه زيداً، ثم خرج إلى حجر إسماعيل، وأعلن أنه قد تبناه.

وأراد النبى أن يرفع مكانة زيد، فزوجه من (زينب بنت جحش وأم أيمن)، وقد أنجب زيد من الثانية ولداً أسماه (أسامة)، وكان ﷺ، يتردد على بيت زيد، ويُقَبِّلُ الصغيرَ ويُهَدْهِدُهُ، فكان لحبه وعطفه انطباعات فى نفس أسامة منذ صغره.

فــى سُوق عكــاظ



كان يومًا رقيقَ النَّسيم من شَهر ذى القعْدَةِ، وسوقُ عكاظَ بالقُربِ من مكَّةَ قائمٌ فى موعده السنوىِّ، يبَاشرُ فيه التجارُ بيعَ سلعهم التى جَلبوهَا منَ البلدانِ المُجَاورَةِ للجزيرَةِ الْعَرَبيَّةِ، كما يُباشر فيه الشُّعراءُ والخُطَبَاءُ إلقَاءَ مَا جَادَتْ بهِ قَرائحُهـم [1] من شِعْرٍ ونَثرٍ على عشَّاق الأَدب، ومُحبِّى البيانِ الرَّفيعِ..

(١) قرائحهم : جمع قريحة وهى الذهن وجودة الطبع .



وفى السّوقِ مكانٌ مُخَصصٌ لبيع الرقيق[1]، إذ كَان اقتناءُ الرقيقِ عَادةً مألُوفةً عند أَثرياءِ العرب وَغَيْر العَرَبِ فى ذلك الحِين..

زيد بن حارثة فى بيت محمد بن عبد الله

وكانتْ خديجةُ بنتُ خُوَيْلد ـ وهِىَ سَيدةٌ على جَانبٍ عَظيمٍ من الثراءِ[2]، شأْنُ أَشْراف قبيلتها بنى أَسد ـ قَدْ عَهِدتْ إلى ابن أَخيها حَكِيم ابن حزامٍ أن يَشترى لها غلامًا يَقومُ على خِدمتها، فَقَدْ أَخَذَ حكيمٌ يَتجوَّلُ فى السُّوقِ حَتى عَثر على غلام تَوسَّمَ فيه الطيبةَ وحسنَ الخُلُق، فأَخذ يُسَاومُ على ثَمَنِهِ حتى بلغ أَربعمائةِ درْهم.. وعندهَا قبل البائعُ، فعاد حكيمٌ بالغلامِ إِلى بَيتِ عمتِه خديجَة..

كانَ غلامًا يافعًا [3]، ذا أَنفٍ أَفْطَسَ، ولونُه أَسمرُ شديد السُّمرةِ، واسمُه زيدُ بن حارثَةَ، وهو الَّذى أَنجب فيمَا بعدُ أُسامةَ بطلَ هذه القصةِ.

شكرتْ خديجةُ لابْن أَخيهَا حُسْنَ اختيارِه، وقررت أَن تُقَدمَ الغلامَ هَديَّةً لزوجها محمد بن عبد الله، وكان ذَلك قبل بعْثِهِ ببضعِ سَنَواتٍ..

ولَكِنْ مَنْ هو زَيْدُ بنُ حارثَةَ، ولماذا عُرِضَ للبَيْع فى سُوقِ عُكاظَ..

إِن الْقَدَرَ هُوَ الَّذى كتَبَ له هذه البِدايةَ، حتَّى يكون له فيما بعدُ أَعظمُ شأْنٍ وأَجله فى تاريخِ الإسلامِ..

إنه ليْسَ من أُسرةٍ تبيعُ أَبناءَها فى سُوقِ الرَّقيق.. وإنما هو من قوم يُؤْثرون الحريةَ على ما عداها من زُخْرُف الدنيا، ومتاع الحياةِ..

أما سَبَبُ عَرْضه للبيع فإِنَّه أُخِذ أَسِيرًا فى أَثْناءِ وجوده فى بيت أخوالهِ بحيٍّ بنى مَعْنٍ، إذ كانت أُمُّه سُعدَى بنتُ ثعلبةَ فى زيارة لأَهلها.. وقد

(١) الرقيق : العبيد . (٢) الثراء : الغنى .
(٣) يافعًا: قريبًا من سن الشباب والبلوغ .



أَغارتْ على الحيِّ عصابةٌ من بنى القَيْنِ، وأَسَرَتْ الغلامَ معَ من أَسَرتْ من غِلمانٍ، ثم عَرضَتْهم جميعاً للبيع بسوقِ عُكَاظ..

ولما نُمِى إلى حارثةَ أَن ابنَه وَقَعَ أَسيرًا فى يد عِصَابةٍ من بنى القَيْن، حَزنَ أَبْلغَ الحُزْنِ، وتأَلَّم أَشدَّ الألم.

لم يكنْ حارثةُ ـ وهو يُواصلُ اللَّيْلَ بالنهار بُكاءً على ابنه وفلذة كبده، يَعلم أَن زيْدًا يَنْعمُ بأَهْنأ عيش فى بيتِ خديجةَ بنتِ خويلد، ومحمد بن عبد الله.

لقد استَطاب العيْشَ مَعهمَا، حتى إنَّهُ لم يُفكرْ فى العودةِ إلى أَهْله، إذ أَنَّهما عوَّضاهُ بالحبِّ والرِّعايةِ وحُسْنِ المعاملة عن حنان الأَبويْنِ، وأُنس الأَهلِ، ومَرَحِ الأَصدقاءِ.

كانَ زيْدٌ كلما خلا إلى نفسِه يطْرح عليهَا هذا السؤالَ: أَىُّ طرازٍ عظيم من الرِّجال محمدُ بن عبد الله.. إنه لم يرَ فى حياته رجلاً فى مثل رقَّةِ شمائله[١]. وكرمِ خُلُقِهِ، وعفَّةِ ضميره. إنه يختلفُ عن النّاسِ جميعًا فكرًا وسلوكًا :

فهوَ عفٌّ اللسانِ إذا تحدثَ .

وفىٌ إذا عاهَدَ أَو وَعَد.

عادلٌ يعطى كلَّ ذى حقٍّ حقَّه.

نقى السريرة لايُكنُّ حقدًا أو ضغينةً[٢].

أَمينٌ تتنزه أَقْوالُه وأَفعالُه عن الشُّبهاتِ.

جمُّ التواضعِ.. كاملُ الرُّجولَةِ.

مَنْ رآه هَابَهُ، ومَنْ خَالَطهُ أَحبَّه.

جَوادٌ لايردُّ السائلَ، بل يُعينُ على نوائبِ الدهرِ.

---

(١) رقة شمائله : الصفات الحسنة .

(٢) ضغينة : كره. والجمع ضغائن.

صفاتٌ وشَمائلُ بَهرتْ زيدَ بنَ حارثَة وجَعلته يؤثر محمد بنَ عبدِ الله حتى على أَهْلهِ وَعشِيرتهِ..

امتُحنَ زيدٌ ذاتَ يومٍ فى حبِّه لمحمَّدٍ، فكان جوابُه قاطعًا على أنَّ محمدًا أَحَبُّ إليه من أَبويه ومن عشيرته الأَقربينَ..

فَقَد الْتقى فى أَحد مَوَاسِم الحجِّ بنفرٍ منْ جيرةِ والدِه، وسرْعان ما عرفهم وعَرفوه، ولمَّا أَخبروهُ بأنَّ والده يقِيم فى حُزْنٍ عميقٍ على فَقْدِه، قال لهم أَنشدوه هذه الأبيات منها :

أَحنُّ إلى قَوْمِى وإن كنْتُ نائيًا[1] فإِنِّى قَعيدُ البيتِ عندَ المَشَاعرِ

إنه يطمئنُ والده على أَنَّه يَعيش فى أُسرةٍ كريمةٍ، ويَدْعوه إلى التخلى عن حُزْنه وأَسَاهُ.

تلقَّى حارثةُ هذه الرسالة بسُرورٍ بالغ.. ومَعَ أَنَّها تحملُ كلَّ ما يدعُو إلى الطُّمأْنينةِ، فقد ركبَ هو وَأخوه كعبٌ راحلتيهمَا، وانطلقا على الفور إلى مكة.. وعندمَا دخلاَها سأَلا عن محمد بنِ عبدِالله، فَقِيل لهما إنَّه بالمسجد..

فوجئَ محمَّدٌ ـ وهو جَالس يتعبَّد ـ برجلين يَقفان أَمامَه ويقولانِ له :

يا ابنَ عبدِ المطلب... يا ابنَ هاشم.. يا ابن سيِّد قَومه... أَنْتُمْ أَهْلُ حَرَمِ الله وَجيرانه... تَفُكُّونَ الْعانى[2] وتطعمونَ الأَسِيرَ.... جئناك فى ابنِنا عندكَ. فامنُنْ عَلَيْنَا، وأَحْسِنْ إِلَيْنَا فى فِدائِه...

التفت إليهمَا مُحَمَّدٌ وَقَالَ لَهُما :

ـ مَنْ هُوَ ؟

قَالَ الرَّجُلانِ :

ـ زيدُ بنُ حارِثةَ.. نريدُ افْتِداءَه .

---

(١) نائيًا : بعيداً .

(٢) العانى : كل من يعانى من الرق والأسر.

قَالَ محمدٌ :

ادعوه فخيروهُ، فإن اخْتَاركم فَهُوَ لكُمْ، وإن اختارنى فوالله مَا أَنا بالَّذى أَختَارُ على مَن اختارنى أَحدًا.

قال الرَّجُلان : زدتَنا على النَّصَفِ وأَحسَنْتَ .

وعلى الفــورِ أَمَرَ محمــدٌ بمن يُنادى زيدَ بنَ حارثَةَ.. ولَما مَثَلَ بين يديْهِ سأَله :

ـ أَتَعْرِفُ هؤلاءِ يا زيْدُ ؟

زيد : نعم .. هذا أَبى، وَهذا عمِّى .

محمد: فَأَنا مَنْ عَلمْتَ وَرَأَيْتَ صُحبتى لكَ. فاخْتَرْنى أَو اختَرْهُما .

زيد : مَا أَنا بالذى أَختارُ عَلَيْكَ أَحدًا. أَنت مِنِّى بمكانِ الأَبِ والعمِّ.

الرجلاَن: ويحك[١] يا زَيدُ.. أَتختارُ العبُوديةَ عَلى الحريةِ وعلى أَبيكَ وعَمِّكَ، وعلى أَهْلِ بيتِكَ ؟

زيد : نعم.. قد رأَيْتُ من هذا الرَّجُلِ شيئًا مَا أَنَا بالَّذى أَخْتَارُ عليه أَحدًا أَبدًا.

محمد بن عبد الله يتبنَّى زيدًا

ما كاد زيدٌ ينطق العبارةَ الأَخيرةَ حتَّى فاضَتْ عينا محمد بالدُّموع، وخرَجَ بزيدٍ إلى الحِجرِ[٢]، وقال: يا منْ حضَرَ اشهدُوا أَنَّ زيْدًا ابْنى يَرِثُنى وأَرِثُهُ.

عند ذَلك تَهلَّل[٣] وجهُ حَارثَةَ، واطمأَنَّ إلى أَنَّ ابْنَهُ يعيشُ فى ظلٍّ ظليلٍ منَ الحبِّ والرِّعايةِ والعطفِ، فودّعَ محمدًا، وقَفَلَ هو وأَخوه كعبٌ راجِعَيْنِ إلى حَيِّهما.

---

(١) ويحك : رحمة بك .

(٢) الحجر : حجر إسماعيل بجوار الكعبة .

(٣) تهلل : ظهرت عليه أمارات الفرح .



أمَّا زَيدٌ فقد سمَتْ[1] مكانَتُه بَعد هَذه الواقعةِ؛ وأَصبَحَ معروفًا بين النَّاس بأَنه زيدُ ابنُ محمد.. ولَم يَبْطُلْ هذا اللقَبُ إلا عِنْدمَا نَزلَ القرآنُ الكريمُ بعد بَعْث محمد يقول :

﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾[2]....

إسـلام زيـد بن حارثـة

أَخلَصَ زيدٌ لمحمد وزوجَتهِ خديجةَ، وأَوْلاَهُمَا قَلْبَه وَوجدانَه وَمَشاعِرَهُ، وكان الزَّوْجانِ يَرَيانِ فيهِ أَصْدَقَ أَخٍ، وَأَوْفَى صَدِيقٍ، وَأَقْرَبَ إنْسَانٍ إِلى قَلْبَيْهمَا الصّافِيَيْن.

وذَاتَ يومٍ دخل زيدٌ البَيْتَ وقتَ الظهيرة فأَلْفى مُحَمَّدًا وخديجةَ يَرْكَعانِ ويَسْجُدَان وَيَتْلوانِ كلمَاتٍ مِن الْقرآنِ، كُلها ابتهالاتٌ لخالق الأَرض والسَّمَاءِ.

وَقفَ زيدٌ مَشْدُوهًا بِضْعَ لَحظَات، ولَمَّا انتهيَا من صَلاتهمَا، سأَلهمَا عمَّنْ يعبدَان ـ فَقال لَه محمدٌ: إنهما يُصَلِّيَانِ لله ربِّ العالمينَ، وقَرَأَ بِضْعَ آياتٍ منَ الْقُرآنِ، اعتنق زيدٌ على أثرهَا الإِسلامَ. يَقُولُ الرُّواةُ: إنه رابعُ مَن دَخَلَ الإسْلاَم حيثُ دَخَلَ قبلَهُ خديجةُ وأبو بَكر وعليٌّ بن أَبى طالب. وبَعْض الروايات تقول: إنّه ثانى مَن دَخلَ الإِسلاَم.

صحِبَ زيدٌ الدعوة الإِسْلامية، وهى شعاعٌ صَغيرٌ فى بيتِ محمد، وآمن بالدِّينِ الجديدِ إيمانًا لايتزعزعُ، ولاتَشُوبُهُ شَائِبَةٌ، وأَصبح يُغَادى النبى ويُرَاوِحُه[3] ويتلقَّى عليه المبادئ السَّاميةَ التى يهبطُ بها الرُّوح الأَمينُ على قلبه، فيزدادُ عقْله إشراقًا، ونفسُه صفاءً، ونَزعاتُه سموًّا واستعلاءً.

---

(١) سمت : ارتفعت .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٥ .

(٣) يغادى النبى ويراوحه : يصحبه ويلازمه صباحًا ومساءً .





زواج زيد بأم أيمن

ولشدة حب النبى لزيد زوَّجَهُ حاضنتَه أُم أَيمنَ، وكان هَذا الزواجُ خيرًا على الزوجين، بل عَلى الأُمة الإسْلاميّةِ كلِّها .

كان النبىُّ يقول عن أُمِّ أَيمنَ - واسمُها الحقيقىُّ بركة - : إِنَّها أُمِّى بعد أُمِّى، لأَنَّها أَشْرَفَتْ على رعايته وهو فى السادسة من عمْره بعد أَن ماتَت أُمه آمنةُ بنتُ وهْب، وظلت ترْعاهُ حتى اشتدَّ عودُه. وأصْبَحَ رجلاً ذا شأْن فى القبائلِ كلِّها، بل فى العالمِ بأَسرهِ.

رَاعى النبىُّ فى هذه الزيجةِ أَن يجمَعَ بين اثنين من أَحَبِّ الناس إلى قلبِه، وأَن يكونَ التكافُؤ أَساسها.

مــولـــد أســامـــة

تَمَّ زواجُ زَيْدٍ بأُمِّ أَيمنَ بعد بعث النبى ببضعِ سنوات. وكانت الثمرةُ الأُولى لهذا الزواجِ بعد عام واحِدٍ طفلاً يحمل مَلاَمِحَ أَبيه من حَيثُ البشرةُ السمرَاءُ والأَنفُ الأَفطسُ، واتفق الزوجانِ على تسميته أُسامة. وأُبلغ النبىُّ بهذا المولودِ ففرح به، وَدَعا الله أَن يُبَارِك فيه، حتَّى يَكونَ مجاهدًا فى سبيل الحقِّ.

كان النبىُّ يتردَّدُ على بيتِ زيدٍ ويُقَبِّل الطِّفْلَ الصَّغِيرَ ، ويُهدْهِدُه ، ويضعُه على فخذِه ، ويضعُ الحسنَ أو الحُسينَ على الفخذِ الأُخْرى ، وهكذا كانت قُبُلاتُ النبىِّ وحنانُه وعطفُه هى الانطِبَاعَاتُ الأُولى فى نفسِ أُسَامةَ ، وهى العبيرُ الشَّفَّافُ الذى تنسَّمَتْهُ روحُهُ الغضَّةُ وهو مازالَ طفلاً يَحبُو .





المناقشة

س ١ : ماذا تعرف عن (سوق عكاظ) ؟

س ٢ : ما الذى طلبته السيدة خديجة من (حكيم بن حزام) ؟

س ٣ : أحن إلى قومى وإن كنت نائيا فإنى قعيد البيت عند المشاعر

(أ) من قائل البيت ؟ وما المناسبة ؟

(ب) لخص قصة زيد فى سطور.

س ٤ : ما الموقف الذى جعل رسول الله ﷺ يتبنى زيدًا ؟

س٥ : ضع علامة (3) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (5) أمام العبارة غير الصحيحة:

■ أسلم زيد بن حارثة، لأنه كان عبدًا لرسول الله ﷺ . ( )

■ جاء حكيم بن حزام يناشد النبى فى زيد . ( )

■ اشترى محمد بن عبد الله زيدًا من السيدة خديجة . ( )

■ أسر بنو القين زيدًا مع من أسر من بنى معن وبيع فى عكاظ. ( )

س ٦ : علل ما يأتى :

(أ) زواج زيد من أم أيمن .

(ب) تردّدُ النبى ﷺ على بيت زيد.



الفصل الثانى

فى المدينة المنورة
«بعــــد الهجـــــرة»
تطلع أسامة للجهاد

تقديم:

نشأ أسامة نشأة دينية، فحفظ أجزاءً من القرآن الكريم، وأدرك ما يحض على توحيد الله وعبادته، وعلمه أبواه شئون الدين الحنيف، فكر الصبى فى الجهاد فى (بدر)، ثم لبس سلاح الحرب فى (أحد)، ولكن المسلمين ردوه من الطريق لصغَر سِنِّه.

ويقترب الصبى من سن الشباب ، ويلهب والده عواطفه بقصص البطولة الإسلامية الرائعة، ويتأثر الفتى بما يسمع.

وفى سرية (موئتة)، يخرج (زيد) قائدًا للجيش، ولكنه يستشهد فينعى النبى لأصحابه شهداء موئتة، ويتمنى أسامة أن تتاح له الفرصة ليثأر للشهداء.

نشــأة أســامة الدينــية

وَعى الطِّفْلُ فى السِّن البَاكِرةِ آياتٍ من القُرْآن الكَريم تحضُّ على تَوحيدِ الله وتمجِيدهِ. وتَدْعُو إلى عِبَادَتهِ وَحْدَه. كما أَنَّه رأَى أَبويْه يصليان لله فى الغداة والعشىِّ فكان للبيئة الدينية التى أحاطت بأسامة أثرها فى نشأته .

حـــــوارٌ وتطـــــلـــــع

وذَاتَ لَيْلَةٍ، وكان أسامة قد قارب العاشرة من عُمره، سَمعَ حوارًا بين أَبويهِ عَن مَوْقِفِ المُشركينَ من النَّبى وأَصْحابه، وَعَرَفَ من حَديثِهمَا أَن حَوالَى تِسْعمائةِ رجلٍ منَ المشركينَ يتزعَّمُهم أَبو جَهْلٍ قد تجمَّعُوا عِنْد بئرِ بدر، وهى بئرٌ تَقَعُ بالقربِ منَ المدينةِ، وأن النَّبى سَيَلقَى هذا الْحَشْدَ الكبير بحَوالى ثلاثمائةٍ منْ أَصْحَابه.

تاقتْ نفسُ أسَامةَ إلى الْخروجِ مَع أَبَوَيْهِ، وَالاشْتراكِ فى الْحَرْبِ ضِدَّ المشركين.. وَلَكنَّ الأَبويْنِ بنبَراتٍ كلُّها عطفٌ وحَنانٌ يردّانِه ردًّا رقيقًا، ويَقولاَن له :

إنكَ مَازلتَ صغيرًا، وطريقُ الجهَادِ طَويل، وسَوفَ تجَاهدُ ما وسعكَ الجهادُ.

إلا أَنَّ كلامَ الأَبوينِ لَم يَلْقَ استجابةً عند الصَّبىّ إذ يُصرّ على الاشتراك في الحربِ. وحَاولَ الأَبوانِ إقناعَه حتَّى تغلَّبا عَلَيه، ثم أخَذا أُهبتَهمَا[1] للْخُروجِ فى أَوَّلِ غَزْوةٍ من غَزَواتِ الرسول .

زيدٌ وزوجه فى غزوة بدر

كان لكلٍّ منهما دورٌ مُحدَّدٌ فى المعركةِ.. زَيدٌ من أَمهَرِ الرُّماةِ، وسوف يُسدِّد سهامَه إلى صُدورِ المشركين. أمَّا أُم أَيْمنَ فستحمل قِرْبتَها وتَسقِى الْمُجاهدين... كما أَنها ستقومُ بتضْميد جراح المصابينَ.

انْطلقَ الأَبوان إِلى سَاحَةِ المعركةِ، وبَقَى أُسَامَةُ بالمدينَةِ ينتظرُ فى شَوْقٍ أَنْبَاءَ القِتالِ حتَّى جاءَ من يَزفُّ النَّبأَ إلى المدينةِ بأنَّ الله قد تجلَّى على الفئةِ القليلةِ منِ المسلمين، فَجَعَلها توقع بالمُشْركينَ هزيمَةً سَاحقَةً، تَذْهَبُ بِهَيْبَةِ قُريش، ومَالها من عزَّةٍ وكبرياء ..

---

(١) أهبتهما : استعدادهما .

وَلما عَادَ الأَبوانِ مَسَاءَ هذا النصر المبين، تلقّاهما أُسَامَةُ بإشراقةٍ تَـمْلأُ وجـهَـه الـغضَّ الصـغيـرَ، وَجَلَس إليهمَا يستمع إلى مَا دَارَ فى المعركةِ، وكيف تجرَّعتْ قريشٌ مرَارةَ الهزيمة عَلى أَيدى المُسْلمِينَ..

الأعداء يزحفون على المدينة

إلا أن قُريشًا لم يهدَأْ لها بالٌ بَعد هَذه الهزيمَة. فَأَخذَت تُعدُّ العُدّةَ لقتال المسلمين. ومَا هُو إلا عامٌ واحدٌ حَتَّى حَشَدَتْ آلافَ الرِّجالِ مِنْ مُخْتلف القبائلِ، وَزَحَفَت عَلى المدينةِ الآمنةِ....

النبى يدبر للقاء العدو فى أُحُد

سَمِع النبىُّ بما دَبَّرتْه قريشٌ، وما حَشَدَتْهُ من الرِّجالِ فَتَشَاوَرَ مع أَصحَابه عمَّا ينبغى أَن يُتّخَذَ لمجابهةِ هذا الموقِفِ.. وهنا بَرَزَتْ آراءٌ شتى: البَعْض يقترح الاحتماءَ بالمدينةِ والقضاءَ على مَن يحاولُ دُخُولَها من المشركينَ، والبعضُ يرى ضرورةَ الْخُروجِ لملاقاةِ المشركينَ مهما تكن التضحيةُ، وتغلَّبَ الرأْىُ الأَخيرُ، وأَعْلن النبىُّ أنه سيحاربُ المشركينَ خارج المدينةِ.

تصميم على الجهاد

عِنْدَمَا عَلمَ أُسامةُ أَن النّبى قرَّر الخُروجَ لِمُحارَبةِ المشركين، صمَّمَ على الاشْتراك فى هذه المعْركة، وحَاولَ أَبواه أَن يُقنِعاه بالعُدُول عن رَأْيه، ولكنَّهما لم يُفْلحا فى هَذه الْمرَّةِ. إذ كانت الحماسةُ فى نَفْسِ الصبىِّ قد بلغت مَدَاها، وإزاءَ تَصْميمهِ على الاشْتراكِ فى الحرْبِ، أَعْطيَاهُ سيفًا ودرْعًا، وتركاهُ ينطلقُ إلى ميدان القتال .

كـانَ يـومئـذٍ فـى الـحـاديـة عشـرة من عـمـرهِ، وكـان أَمـرًا يدعـو إلى الدَّهشةِ أن رَأَى المسلمونَ وهُم فى طريقهمْ إلَى جبلِ أُحد، صبيًّا يتقلَّدُ درعَه، ويحملُ سيفَه، ويَسيرُ فى صفوفِ الْمجاهدينَ.

تساءَلُوا من يكونُ هذا الصبى، ومَنِ الَّذى كلَّفهُ بالخروجِ إلى الجهادِ؟، ولم تَمضِ لحظاتٌ حتى عرفُوا أَن اسْمَهُ أُسامة بن زيدٍ، وأَنه تَطَوَّعَ من تِلْقَاءِ نفسهِ للاشتراكِ فِى الحربِ. كما عَرفوا أَن أَبَوَيْه حاولا ثَنْيَهُ عنِ عزمهِ، دون أَن يَلْقَيَا منه أَىَّ استجابة لرَغْبَتِهما.

أَشْفَقَ المسلمونَ على الصبى، وإن قدّروا فيه الشَّجاعَةَ والعزمَ والتصميمَ، وانفردَ به عددٌ منْهُم يحاولون إقنَاعَه، ويَعدونَه بالخروجِ فى المعاركِ القادمَةِ، فلم يَسَعِ الصَّبىُّ إلا أَن يُذْعِنَ لرأْيهمْ، وَعَادَ حزينًا إلى المدينةِ، وكلُّه لهفةٌ واشتياقٌ إلى أَن يأْتى اليومُ الذى يخرجُ فيه للجهاد فى سَبيل الله.....

زيد يحرز انتصارات فى ست سرايا

ثم تمضى الأَيامُ، ويَقْتَربُ أُسامةُ من مَرحلةِ الشَّبابِ، المرحلةِ التى لايُمكنُ لأَحد فيها أَن يعترضَ علىِ خروجِه إلى الجهادِ.. كانَ خلالَ هذه الفَتْرةِ يَلذُّ له أَن يَستَمِعَ من أَبيه زيد بن حارِثَةَ إلى أَنباءِ المعاركِ التى خَاضَها ضدَّ أَعداءِ الله. فَقَدْ خَرجَ زَيْدُ بنُ حارِثَةَ فى ستٍّ سَرايا كان أَميرًا على كل منها، وأَحرزَ فى السَّرايا الستِّ انتصارات باهرةً، شهدتْ له بالفروسيةِ والبطولةِ والإقدامِ. كما أَنَّه شَهدَ غزواتٍ: بدرٍ وأُحد والخندق والحديبيةِ وخيبر..

أَدْركَ زَيدٌ أن أَسامةَ ابنَه يَطْرَبُ لِقَصصِ الفروسيةِ، ومَواقِف الْبطُولةِ، ومشاهدِ التَّضْحيَةِ... فكان يَحْكِى لَهُ بطريقةٍ جذَّابةٍ كيف يُقاتِلُ المسْلِمونَ أَعداءَ الله، وكيْفَ يَنْتصرون عَليْهم، وكَيْفَ يجدُونَ المشَقَّةَ سائغةً عَذبةً مَادامتْ فى سبيلِ الله ..

وكان أُسامةُ يطربُ أشدَّ الطَّرب[1]، إذْ يَسْمعُ من أَبيه كيف يَدْفَعُ حبُّ الله وَرَسولِه المؤمنينَ أَن يَقْتَحمُوا المخاطِرَ، ويَخُوضُوا الْمنايَا، ويُجَابِهوا الشَّدائدَ. ويُلاقُوا الأَهوالَ. كان يستمعُ بقَلْبِهِ وَوجدانِه ومَشاعِرِه إلى مَا يحكيه أَبوهُ.. ثُمَّ يلتفتُ إليه ويقولُ :

متَى يُسْمَحُ لى بالْخُروجِ للجهاد ؟

وهنا يطرب الوالد الحنون، ويُقبِّلُ ابنَه ويقولُ له :

سوف يأْتى اليومُ الذى تُجاهِدُ فيه يا بنىّ، وتَحْظَى بهذا الشَّرفِ العظيم.

الــــوداع الأخيــــر

لـم يَتَعـوَّدْ زيـدُ بـن حـارثـةَ أَن يُـودِّعَ زَوْجَتَـهُ أُمَّ أَيْمَـنَ وابـنه أُسامَة والدّموع تملأُ عينيه إلا فى هَذه اللَّيلةِ.. ولم يَتَعوَّدْ كذلك أَن يَرى أُمَّ أَيْمَنَ تُودِّعه وعينَاهَا دامعتان إلا فى هذه الليلةِ..

إنها شَهدَتْهُ يَخْرُجُ قبلَ ذلك فى غزَواتٍ كثيرةٍ.. ولكنَّها لم تَشعُرْ بمثل هَذا الشعورِ.. إنّ نداءً خَفيّاً فى نفسِهَا يؤكدُ لها أَنَّه الوداعُ الأَخيرُ.. ومما زادَها اقْتِناعًا بذلك أَنَّ زَوْجَها سَهِرَ حتى الصَّباحِ يُحَدِّثها عن الاستشهادِ والجنة وثوابِ الصَّبْر عند تَلقِّى الأَنباءِ الفاجعةِ..

ســــرية مــؤتـــة

كان النبىُّ قَد قَرَّرَ أَن يُرسِلَ جيشًا إلى حدود الشَّامِ لمحاربةِ الرومِ، وأَعْلَنَ أَنَّ أُمَرَاءَ هَذا الجيش ثلاثةٌ هم: زيدُ بنُ حارثَةَ، فإن أُصِيبَ فجعفر بن أبى طالب، فإن أُصيبَ جعفرُ فعبدُ الله بن رَواحة .

(١) الطرب : الفرح .

تحرَّك الجيشُ بقوَّادِه الثلاثةِ فى جُمادى الأُولى من العام الثامن للهجرة.. وظَلَّ يقطعُ الفيافِىَ والقِفارَ حتى وَصَلَ إلى حُدودِ الشامِ، وعَسْكَرَ بجوارِ بلدةٍ تُسمى مُؤتَةَ، سُمِّيتْ هذه الغزوةُ باسمها..

إلا أَن هذا الجيش فوجئ - وهو لايجاوز بضْعة آلاف - أن جيشَ الروم يَزيد على مائتى أَلف مقاتل..

الموقفُ إذنْ بالغُ الصُّعوبة بالنسبة للمسلمين. كيف يُحاربون وهُمْ بِضْعةُ آلافٍ، جيشًا قوامُهُ مائتا أَلْف مُقاتلٍ.. لقد فرض عليهم القتال.. إنهم حَاربوا فى بَدرٍ وهم ثُلثُ عددِ عدوِّهم. ومعَ ذلك أحرزُوا نصرًا مبينًا.

بســـالة واســتشــهاد

الموقفُ على شِدَّتِه لايَحتملُ منهم أَى تردُّد أَو تفكير. لابدَّ من خوضِ المعركةِ.. إنهم باعُوا أَنْفُسَهم لله، وجاءُوا يَطلبُونَ الشهادةَ. وتقدَّمَ زيدُ بن حارثةَ ومعه رايةُ النَّبىِّ، وتقدمَ وراءَه المسلمون، ودَار قتالٌ عنيفٌ لم تشْهدْ مثله أَرضُ البَلْقاءِ. ولكن زيدًا لم يلبثْ أَن شَاطَ فى رِمَاحِ القومِ، أى مُزِّقَ جَسَدُه تَمزيقًا.. وهنا تَلَقَّى الرايةَ جعفرُ بنُ أَبى طالبٍ، واقْتَحم صفوفَ الرومِ، ولكنَّ جنودَ الرومِ ما لبثُوا أَن حاصروهُ من كلِّ جانب، وأُصيبتْ يمينهُ بِضربةِ سيف بَتَرَتْهَا على الفَوْرِ.. فلم يهتم بيده المبتورة قدرَ اهتمامه براية النبى، إذ خَشى أَن تَسْقطَ على الأرضِ ، فحَملهَا بشماله ، وهُنا عاجَلَه جنودُ الرومِ بضربةٍ بترت شمالَه ، فأبى أن تسْقُطَ الرَّايةُ وذراعاه مبتورتَان. وكانت آخرُ محَاولَةٍ له أَن ضَمَّهَا إلى صدرِه بعَضُدَيْهِ... وأَصبحَ فى مَوقفٍ لاَ يستطيعُ معه المُقَاوَمَةَ، مما جعلَ استشهادَه أَمرًا محتومًا.

وَقبل أَن تسقطَ الرايةُ كان عبد الله بنُ رَوَاحةَ قد رفعَها بيمينِه. ومَضَى يُقاتلُ ويقاتلُ وَسَطَ صُفوفِ الرومِ حَتى حَظِىَ بالشَّهَادةِ مثل زَميلَيْه..



خالد ينقذ جيش مؤتة

بَعد أَن اسْتُشْهِدَ القوادُ الثَّلاثةُ، وأَصبحَ مَوقفُ المسلمينَ بالغَ الخطورةِ، تَدخَّل خالدُ بنُ الوليدِ، وكان قد خَرجَ متطوعًا مع الجيشِ، وأَخذَ يقاتِلُ حتى تكسَّرَتْ تِسعةُ أَسْيافٍ فى يَدهِ، ثم استطاعَ بِخِبْرتهِ العسكرية أَن يسحَبَ الجيشَ بانتظَامٍ، ويَعودَ بِه إلى المدينَة..

النبى ينعى لأصحابه شهداء مؤتة

ولكنْ قبلَ أَن يصلَ الجيشُ أَو تَصل أَنباءُ المعركة إلى المدينة، كان النبىُّ ﷺ قد نَعَى شهداءَ مُؤْتَةَ إلى أَصحَابه. إِذ كان جَالسًا بينهم عندما أَخذتْه إغفاءَة لبُرْهَة قَصِيرَةٍ انتبَه بَعْدها وقال لهم :

«أخذَ الرايةَ زيدُ بن حَارثة فَقَاتَلَ بها حَتى قُتلَ شهيدًا.. ثم أخذها جعفر بن أبى طالب فقاتل بها حتى قتل شهيدًا.. ثمَ أخَذَهَا عَبدُ الله بنُ رواحةَ فقاتَل بهَا حتى قُتِلَ شَهيدًا.. لقد رُفِعُوا جَميعًا إلى الجنَّة».

الثـــأر لشـــهداء مؤتـــة

تلقى أُسامةُ نَبَأَ استشهاد أَبيهِ بقلب حَزين وعَيْنَيْن باكِيَتيْنِ.... ولَكن خَفَّفَ عَنه الأَسَى مَا لمحَه على وَجهِ النبىِّ من آثارِ الحزنِ على شُهَداءِ مُؤتةَ... وتَمنى فى قَرَارَةِ نَفسِه أَن تُتَاحَ لَه الفرصَةُ لمحاربة الروم، حتى يثْأَرَ لشُهَداءِ مُؤتةَ جَميعًا .

وإذَا كانَت النتيجةُ التى أَسْفرتْ عنها غَزوةُ مؤتةَ قَد تَركَتْ جرحًا عميقًا فى نفوسِ أَهْلِ المدينةِ، فقد كَانَ أَثَرُها أَعْمقَ فى نَفسِ النَّبىِّ. وَلذا قَرَّرَ ﷺ أَن يَخرجَ بنَفسِه على رأْس جيش لمحاربةِ الروم. حَتى يَقضِى على هَيبَةِ الروم، تمامًا، ويُؤَمِّنَ حُدودَ الدَّولَةِ الإِسْلاميَّةِ من ناحِيَةِ الشَّامِ.



المناقشة

س ١ : علل ما يأتى :

(أ) زيد يحمل النبل والسهام إلى بدر .

(ب) أم أيمن تحمل الضمادات والقربة.

س ٢ : ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتى:

(أ) انتصر المسلمون فى بدر لكثرة عددهم وعتادهم. (   )

(ب) أصرت قريش على الثأر بعد هزيمتها فى بدر . (   )

(جـ) كان عدد المسلمين فى بدر ثلث عدد المشركين. (   )

س ٣ : عرف المسلمون الأوائل أحدث طرق التربية للأطفال والشباب.

دلل على صدق هذه العبارة مما عرفته من تربية أسامة .

س ٤ : ما الدروس المستفادة من غزوة أحد ؟

س ٥ : متى كانت سرية مؤتة ؟ ومن قاد جيش المسلمين فيها ؟ ولماذا عدد النبى ﷺ القيادة فيها ؟

س ٦ : ضع علامة (✓) أمام كل إجابة صحيحة :

خالد بن الوليد (أ) عينه النبى قائدًا فى مؤتة .

(ب) دفعته ظروف الحرب إلى القيادة .

(جـ) كان سبب النصر فى مؤتة .

(د) كان السبب فى الحفاظ على الجيش فى مؤتة.

س ٧ : اكتب مذكرة تاريخية مختصرة، عن تطلع أسامة للجهاد منذ صغره.

س ٨ : تحدث عن نشأة أسامة التى أثرت فى مستقبله.

الفصل الثالث

فتــــح مكـــــة
أســـامة يـــوم الفتـــح

موقف النبى من نقض صلح الحديبية

وتَمْضى الأَيامُ، وَيأْتى العامُ الثامنُ للهجرَةِ، وَيَشتدُّ بأْسُ الإِسلامِ، وَيُصْبحُ قوةً لهَا خَطَرُها فى الجزيرَة العرَبيَّة ومَا جاوَرَهَا مِنْ بُلْدَانٍ.

وَبَيْـنما النبىُّ ﷺ جالسٌ مَعَ أَصْحَابه يلقِّنُهم[1] تعاليمَ السَّماءِ، ومبـادئ الإِسلام، إذا بـرجُل قـادم مـن مـكـةَ اسمـهُ عَـمْرُو بن سَالم الخُزَاعـىّ يقْتحِم[2] عَليــه مَجلسَــه، وَقلبُهُ ينْتَفضُ من الرُّعبِ والفَزَعِ.. ولَما سأَله النبىُّ ﷺ عمَّا أَصابَه، حكى لَه مَأْساةً عَنِيفةً أَصَابتْ قَبيلَةَ خُزَاعَة.

كَانتْ هذه القبيلةُ، وَهى مِن حُلَفَاءِ النبىِّ، تعيشُ بجوار مَكَّة آمنةً مُطْمئنَّةً، إذ أَغارَتْ عليها قبيلة بنى بكر بإيعازٍ من قُريشٍ، لأَنهمَا حليفَتَانِ. وأَوْسَعَتْ قبيلةَ خُزَاعةً قَتْلاً وتَعْذيبًا رغمَ أَنها احْتَمَت بالبيتِ العتيق[3]..

جريمةٌ بَشعَةٌ[4] استنكَرَهَا النبىُّ ﷺ، ووَجَد فيهَا نَقْضًا صَريحًا لمُعاهدة الْحُدَيْبيَة التى وقَّعَها من قبل مَعَ قريش. فقرر نصرة خزاعة وفاءً بعهده معها ودعا المسلمين إلى التأهب للحرب بدون أن يعلن

---

(١) يلقنهم: يلقى عليهم تعاليم الإسلام.
(٢) يقتحم: يدخل عليه عنوة.
(٣) البيت العتيق: المسجد الحرام والكعبة.
(٤) بشعة: كريهة.

عن الجهة التى سيتوجهون إليها حتى لا يصل الخبر إلى قريش فتستعد للقاء المسلمين.

الاستعداد لفتح مكة

كان من الطَّبيعىِّ أن يَتَّخِذَ النبى ﷺ قرارًا حَاسِمًا [١] فى هَذَا الموقِف.. لقد نَقَضَتْ قُرَيْشٌ معَاهدةَ الحُديبيةِ وأَصبحت الحربُ لا مَفرَّ منها..

ولما وصل المسلمون إلى منطقة (مر الظهران) طلب الرسول ﷺ من المسلمين أن يشعلوا نيرانا كثيرة وأَعْلَنَ النَّبىُّ ﷺ أنه قرر فتْحَ مكَّة، ودعَا المُسلمين إلى التَّأَهُّبِ للزَّحفِ عليها..

وما هى إلا ساعاتٌ قلائلُ حتَّى كان كلُّ مُسْلمٍ قد أَعَدَّ عُدَّتَه[٢]. وجَهَّزَ مَتَاعَه، واستعدَّ للخروجِ مع النَّبىِّ ﷺ إلى فتح أكبر مَدِينةٍ فى الجزيرة العربيةِ.

فى الطريق إلى مكة

بَلَغَ عَددُ المسلمينَ الَّذين استعَدُّوا للزَّحْفِ الكبير عَشْرَةَ آلاف مُقَاتِل، تَحرَّكُوا فى السَّاعةِ التى حدَّدَها النبىُّ ﷺ، مُتَّجهين صَوْب[٣] مكة، للقَضَاء على الوَثَنيَّةِ فيها، وجَعْلِها العاصِمَةَ الدينية للدولة الإسلاميةِ.

مَشْهدٌ رائعٌ هَزَّ مناكِبَ الصَّحَراءِ عُجْبًا وخُيَلاءَ.. النبىُّ ﷺ على بَغْلَته البَيْضاءِ يرى بقَلْبه الكبيرِ أطرافَ الدولةِ الإسلاميةِ وقد امْتَدَّتْ حتى شَمِلَتْ مملَكَتى الفُرسِ والروم، وما بعدَ الفُرسِ والرُّوم.. والمسلمونَ مِن خلْفِه تَصهَلُ خُيولُهم صَهيلاً تَنْبَعثُ منه فَرْحَةُ النَّصر. وكأَنَّما عَقَدَ الإيمانُ على جبينِ[٤] كلِّ مُسْلِمٍ هَالَةً[٥] من العِزَّةِ تضىءُ له الطريقَ..

(١) حاسم: قاطع من غير تردد. (٢) عدته: سلاحه. (٣) صوب مكة: مستهدفين مكة.
(٤) جبين: مقدمة الرأس. (٥) هالة: دائرة من الضوء.

وحَانَتْ من أَبى بَكْرٍ الْتِفَاتَةٌ نحو النَّبىِّ ﷺ، فَوجدَ أُسامةَ بن زيدٍ يَركَبُ خَلْفَه.. على البَغْلَةِ البَيضاء.

يَالَه من مَوْقِفٍ تَتَمَثَّل فيه عَظَمَةُ الإِسلامِ، وهو يُسَوِّى بينَ القَائد الأَعلى وبين شَابٍّ لَيس مِن ذَوِى الحَسَبِ والنَّسبِ.

وتَطلَّع أُسَامةُ ـ وهو خَلْفَ النبىِّ ﷺ ـ فَرأَى العيونَ تَرمُقُه[1] بتَقْدير وإعجابٍ.. إنه لَشرفٌ كبيرٌ له أَنْ يسير بجوارِ النبىِّ فكيف يكونُ شَأْنُهُ وَقد أَصبح شريكًا له فى دابَّته..

استمرَّ المَوْكِبُ العظيمُ فى مَسِيرته بضْعةَ أَيَّام.. يَشُقُّ تَسْبيحُهُ عَنان السَّماءِ، وتُرَفرفُ عَلَيه أَجْنِحةُ الملائكةِ، حتى إذا بَلَغَ مكةَ لم يَجدْ فيها مَن يُقَاتِلِ أَو يُقَاومُ.. اللَّهمَّ إِلا أَفراداً قَلائِلَ حَاولوا أَن يَعْتَرِضُوا طريقَ كتِيبَة خالدِ بن الوليدِ، فردَّهم خالدٌ على أَعقَابهم خاسرينَ..

ثم يَبْلُغُ المَشْهدُ العظيمُ ذِرْوَتَه بالنِّسبةِ لأُسامةَ.. إِذْ يَدخُلُ النبى ﷺ الكعبة لِيُصلِّى فيهَا رَكعَتَيْن، ولَم يَدْخُل معَه إِلا أُسَامةُ وبلال.. وَشَهدت الكعبةُ النبىَّ الذى بشَّرتْ به الكُتبُ المقدسةُ يَدخُلها منتصرًا فى أَعظَم يَوْمٍ من أَيَّام التَّاريخِ.

منزلة أسامة من نفس النبى

لَو أَرَدْنَا أَن نسُوقَ الوقائع الَّتى تدُلُّ عَلَى منْزِلَة أُسامَة مِنْ نَفْس النَّبىِّ ﷺ، لأَعْيَانَا العَدُّ والْحَصْرُ. ولذلكَ سَنَكْتَفى بإِيرَادِ ما فيه دَلالَةٌ خَاصَّةٌ عَلَى أَنَّه كان يَحْتَلُّ جَانبًا كبيرًا من قلبه العظيمِ..

رَوَتْ عائِشَةُ ــ رضى الله عنها ــ بَعْضَ الوقَائع التى حدَثَتْ لأُسامةَ مَعَ النبىِّ ﷺ، والتى تَدُلُّ على مَبْلَغِ حُبِّهِ له وإِعْزَازِهِ إِيَّاهُ.

(١) ترمقه : تنظر إليه وترقبه .

قالَت: إنَّ قُريشًا أَهَمَّهُمْ [1] شَأْنُ المرأَةِ المَخْزُوميَّةِ التى سَرَقَتْ، وتَمَلَّكَهُم الرُّعبُ والخَجَلُ مِنْ أَن تُقْطَعَ يَدُها، تَنْفِيذًا لتعاليمِ الإِسْلاَمِ. وتَشاوَرُوا فيما بَيْنهمْ: مَنْ يَجْسُرُ على مُفَاتَحَةِ النبى ﷺ، لعلَّه يَعْفو ويَصفحُ. وأَخيرًا اسْتَقَرَّ رأْيُهم عَلى أَن يَعْهَدوا إلى أُسامة ابن زيدٍ أَنْ يَتَشَفَّعَ لهذهِ المرأَةِ عند النبى ﷺ لِثِقَتهِم أَنَّ النَّبىَّ لا يَرُدُّ طلبًا لأُسامــةَ.

انطلقَ نَفَرٌ منْهمْ إلى أُسامةَ وَطَلَبُوا إليه أَن يَذهَبَ إِلى النبىِّ ﷺ، ويناشِدَهُ عَدَمَ تَنْفِيذِ العقوبة فى المرأَةِ المخْزُوميَّة، لأَنَّها مِن قُرَيش من جِهَةٍ، وتَمُتُّ إلى النبىِّ بِصلَةِ المُصَاهَرَةِ من جِهةٍ أُخرى ..

ضعفَ أسامةُ أَمامَ إلحاح قريش، وسَرْعَانَ مَا ذَهبَ إِلى النبىِّ ﷺ، وَطَلَبَ إِليه أَن يَصْفَحَ عَن المرْأَةِ السَّارقَة، وأَلاَّ يُنَفذ فيها حَدَّ الله.

ثم انتظَر رَدَّ النبىِّ ﷺ، متصورًا أَنه سُيلَبِّى رَغْبَتَهُ .

ولكنَّه فُوجِئَ بالنبى ﷺ يحمرُّ وجهُهُ من الغضب ويُوجِّه إِليه اللَّومَ[2] ويقولُ له : «أَتَشْفَعُ فى حَدٍّ مِنْ حُدودِ الله !» .

حَد السرقة علاج للمجتمع

ولم يَكْتَفِ النبىُّ ﷺ بهذَا. وإنَّما أَرادَ أَن يُعَلِّمَ النَّاسَ لماذا فَرَضَ الله عُقُوبَةَ السَّرِقَةِ؟ ولماذا لايَتهاوَنُ هُوَ فى تَنْفِيذها؟. فَقَامَ وَخَطَب الناسَ فقال:

« إِنَّما أَهْلَك الَّذينَ قَبْلَكُم أَنهُمْ كَانوا إِذَا سَرَقَ فيهم الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإِذَا سَرَقَ فيهِمْ الضَّعيفُ أَقامُوا عَلَيْهِ الْحدَّ، وايْمُ الله لَو أَنَّ فَاطِمةَ بنتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقطَعَ محمدٌ يَدَهَا ».

(١) أهمهم : أحزنهم .
(٢) اللوم : يكلمه فى شدة وقسوة ويعذله على فعله .

هُنا تَتَجَلى أروعُ آيةٍ من آيات العَدَالةِ عندَ الرسول ﷺ.. إِن حبَّه لأُسَامَةَ لاَ يحتاجُ إلى شَاهِدٍ أَو دَليل، ولكنَّ هَذَا الحبَّ لاَ يطْغَى عَلى حُبِّه لِكلِمةِ الله وحِكْمته فى قَطْعِ يَدِ السَّارِق حتَّى وَلو كَانتْ يدَ امرأةٍ مِن أَشرافِ قريش، وتَمُتُّ إلى النبىِّ ﷺ بصِلَةِ المُصَاهَرَةِ.

وَهُنَــا يَتَجَلَّى لأُسامَة أَنَّ حُكْمَ الله أَوثَقُ صِلَةً بقَلْب النبى ﷺ من حُبِّه إِيَّاه.. وَأَنه لايَنْبَغِى أَن يَشفعَ بعد اليوم فى حدٍّ منْ حُدودِ الله، لأَنَّ النبىَّ ﷺ يَضعُ تَعَالِيم السَّماءِ فَوْقَ كلِّ اعْتبَار.





المناقشة

س ١ : ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة فيما يأتى :

(أ) كان صلح الحديبية سنة (٦هـ - ٨هـ - ٩هـ).

(ب) الذى أبلغ النبى بموقف قريش (رجل من خزاعة - رجل من بكر - رجل من الأنصار).

(جـ) عدد الجيش الزاحف على مكة

(خمسة آلاف – عشرة آلاف – اثنا عشر ألفا)

س ٢ : لماذا اتخذ النبى ﷺ قراره بفتح مكة ؟

س ٣ : ما مظهر نقض قريش لصلح الحديبية ؟

س ٤ : صف مشهد الجيش وهو يتجه إلى مكة .

س ٥ : ما إحساس أبى بكر حينما رأى أسامة خلف النبى ﷺ على بغلته البيضاء؟

س ٦ : اذكر حادثتين تدلان على حب النبى ﷺ لأسامة .

س ٧ : فى قصة المرأة المخزومية دروس ومواقف. وضح اثنين منها .

س ٨ : «حد السرقة علاج اجتماعى»

دلل على صدق هذه العبارة .



الفصل الرابع

﴿ ثم أنزلَ اللهُ سكينَتَهُ على رسولِهِ وعَلَى المؤمِنِينَ ﴾ أسامة فى موقعة حُنَين

تقديم:

وقفت فئة مؤمنة يوم حُنين، تدافع عن النبى ﷺ فى ثبات وصبر وجلد يظللهم الايمان بالله، وتلفّت النبى ﷺ حوله فوجد أحد عشر مؤمنًا، أنزل الله عليهم السكينة يدافعون عنه وقد امتحن الله قلوبهم للإيمان.

كان أسامة مع من ثبت من المؤمنين، وهذا الثبات، هو الذى رشح الفتى للقيادة، وقد أضمرها النبى ﷺ فى نفسه .

إن قيادة أسامة، امتحان للصحابة، والنبى ﷺ يثق بأصحابه.

هوازن تفكر فى الاستيلاء على مكة

بَعدَ فَتْحِ مَكَّةَ فى السَّنَةِ الثامنة للْهجرةِ. كَانَت قَبيلَةُ هوازنَ - وهَى تَسْكُنُ بِأَحَد الجبالِ الواقِعةِ فى شَرْقِ مكّةَ - قَد عزَّ عَليهَا أَن تُصْبحَ مكة، وهِيَ أَكبرُ مَدينةٍ فى شِبْهِ الجزيرةِ ، عاصمةً للمسلمين ، يُمارسُون فيها

شعائِرهم الدينية ويُجهِّزُون فِيهَا جُيُوشَهُم لِلْغَزْوِ والْفَتْح - ويَدْعَمُون [1] فيها سُلْطَانَهم ومَجْدَهُم المادىَّ والرُّوحىَّ، وحَزّ فى نَفس هذه القَبيلَةِ أَن تتَجَرَّد من كُلِّ مَا كانَتْ تَتَمتَّعُ بهِ منْ جاه ونُفُوذٍ.. وَأَنْ تُصْبِح بدونِ مَهَابةٍ أَو سوُددٍ [2] وهىَ الَّتى عَاشَتْ مَرْهُوبَةَ الجانب، رفيعَةَ الشَّأْنِ.

أَجْرَى رئيسُهَا مالِك بن عوفِ النضرى محادثاتٍ معَ قَبائِل ثَقِيف ونصرٍ وَجُشَم انْتهَتْ بعَقدِ تَحَالُفٍ لِشَنِّ حرْب ضدَّ المُسْلمِين، وخَرَجَت القبائِلُ الأَرْبَعُ إِلى وادِى حُنَينٍ تَحْمِلُ كلَّ ما تمْلِكُ من ذَهَبٍ وفضَّةٍ، وَتَسُوقُ أَمامَها كلَّ ما تَمْلِكُ من إِبلٍ وغَنَم وماعزٍ، وتصحبُ نساءَها فى هذهِ الرحْلَةِ الخَطِرَةِ، حتى يكون فى وُجُودِهِنَّ خلف الْمُقاتلينَ دافعٌ إِلى خَوْضِ المَعْمَعَةِ فى حمَاسَةٍ، حِفَاظًا على العِرْضِ، وإِظْهارًا للشَّجاعَةِ، وانتزاعًا للإِعجابِ..

ظَنَّتْ هوازنُ والقَبَائِلُ المتحالِفَةُ معَها أَنَّها بِهَذَا الحَشْدِ الكبيرِ من الرِّجالِ والنساءِ والمتَاعِ سَتَقْضِى على المسلمين، وتَسْتَرِدُّ مَا كان لها مِن مَهَابةٍ فى أَعْيُن القَبائِل، وتَبْسُطُ سُلطانَها على مكةَ، وتصْبحُ صاحبةَ الكلمَةِ النافِذَةِ فى هذه المدينة العريقَة [3].

عَلِمَ النبىُّ ﷺ بما دَبَّرَتْهُ هوازنُ، وما أَزْمَعَت القيامَ به، فلم ينتظِرْ لَحْظَةً واحدةً، وإِنما بَعَثَ من يُنَادِى بالجهادِ، وسَرْعَانَ ما تجمَّعَ المسلمونَ الَّذين فَتَح بهِمْ مَكَّةَ، وعدَّتُهم عَشرةُ آلافِ فارسٍ، وانْضَمَّ إِليهِمْ أَلْفَانِ مِن الَّذينَ دَخَلُوا الإِسْلامَ حديثًا بعد هذَا الْفَتْحِ المبين.

---

(١) يدعمون : يقوّون حكمهم .
(٢) سؤدد : مجد وشرف .
(٣) العريقة : الأصيلة .



النبى يخرج إلى هوازن ومن حالفها

تَحَرَّكَ الجيشُ مِن مكَّةَ يَتَقَدَّمُهُ النبىُّ ﷺ، ويرفرفُ عَلَيْه نورُ اللهِ، ونَظَرَ المسْلمونَ إِلى عَدَدِهِم وَعَتادِهِم[1] فأَخَذَهُم الزَّهْوُ، وتَمَلَّكهم الفَخَارُ.. إِنَّهم لم يكونُوا فى يَوم من الأَيام بمثْلِ هَذِه الكثْرةِ فى الرِّجَال، والوفْرَةِ فى السِّلاحِ، ومَع هذا أحْرزُوا النَّصْرَ فى كلِّ مَوْقِعَةٍ ودَحَرُوا عَدوَّهم فى كلِّ مَعْمَعةٍ، وأَرْهَبُوا بِشجَاعتِهم وبَسَالَتِهم أَعداءَ اللهِ وأعداءَ نَبِيِّه..

وذَهَبَ الزَّهْوُ بهذَا الْجَيْشِ الكثيفِ إِلى حَدِّ أَنْ قالُوا: لن نُغْلَبَ اليومَ عَنْ قِلَّة.. وهُنا كانَ لابُدَّ من درْسٍ إِلَهِىٍّ يُعِيدُ إِلى نُفُوسِهِمْ الإِيمانَ بأَنَّ النَّصر الَّذى أَحْرزوهُ فى كلِّ المعاركِ إِنَّما كانَ مِن عِنْدِ اللهِ، وأَنَّه لو كان مِقْياسُ النَّصرِ فِى المَعَاركِ بكَثْرةِ الرِّجالِ وَوَفْرَةِ السِّلاحِ، لَهُزِمُوا يَوْمَ بَدْرٍ. فَقد كَانَ المشركُونَ ثَلاثةَ أَمثالِ المسلمينَ، ومَعَ هذا بَاءَ المشركونَ بِهَزِيمةٍ ساحِقَةٍ.. وما يُقالُ فى غزوةِ بَدْرٍ يُقالُ فى كُلِ المعاركِ الَّتِى خَاضَها النبىُّ وأَتْباعُهُ.. فلم يكونُوا فى أَىِّ مَعْركةٍ أَكْثَرَ عَدَدًا، وأَقْوَى عَتادًا، وإِنمَا كانوا مُسَلَّحِينَ بالإيمانِ واليَقين، ومُدْرِكينَ تمامًا أنَّ الله يَدْحَرُ عَدُوَّهُم، وأَنَّ يَدَهُ تَبْطِشُ بِهؤلاءِ الأَعداءِ ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**﴾[2].

إِذَنْ لابُدَّ مِنْ دَرْسٍ إِلَهِى يَرُدُّ هذه الحَقيقَةَ السَّماوِيَّةَ إِلى نُفُوسِ المُسْلمينَ، وتَمَثَّلَ الدَّرْسُ فى اخْتِباءِ القبائِلِ المعَاديةِ للرسولِ ﷺ وراءَ مَضايقِ وادِى حُنَيْنٍ وَشِعابه، وعندَما بلغَ المسلمونَ الوادى انْهالَتْ عليهم النِّبالُ من كلِّ جانِبٍ، وفُوجِئُوا بأَشْبَاحِ المَنيَّةِ تَزْحَفُ عليهِمْ مِن كلِّ حَدَبٍ وصَوْبٍ، فلم يَمْلِكُوا إِلاَّ أَنْ يَتَقَهْقَرُوا إِلى الوَراءِ، دونَ أَن يَحْدُثَ أَىُّ اشْتِباكٍ بينهم وبَيْنَ الْعَدُوِّ..

(١) عتادهم : السلاح والدواب وأدوات الحرب .



(٢) سورة الأنفال (الآية ١٧) .



ثبات وعزم

مَاذا فعلَ النبىُّ ﷺ حين تَقَهْقَرَ(١) المسلمونَ على أَثَرِ هذهِ المُفاجأَةِ؟ لم تَتَحرَّك قَدماهُ خُطوةً وَاحِدةً نحوَ الوَراءِ، وإِنما وَقف ثابتًا يَملأُ الإِيمَانُ قَلْبَه وَعَقْله وَمَشاعِرَهُ، وَرَاحَ يُنادى بصَوْتٍ هَزَّتْ أَصْدَاؤه جَوانِبَ الوَادِى :

إِلى أَيْنَ أَيُّها النَّاسُ.. هَلُمُّوا إِلىَّ.. أَنا رَسولُ اللهِ.. أَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللهِ.. أَنَا النَّبىُّ لا كَذِبْ.. أَنا ابْن عبد المُطَّلِب.

وتَلَفَّتَ النبىُّ ﷺ حَوْلَهُ فَرَأَى أحدَ عَشَرَ مؤمنًا قَرَّرُوا أَلاَّ يَتَخَلَّوْا عَنْهُ فى هَذَا الموقِفِ العَصِيبِ، حتَّى ولوْ مزَّقَتْهم السُّيوفُ مِن بَيْنِ هَؤلاءِ المُؤمِنينَ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ والعبَّاسُ عمُّ النَّبِىِّ وعلىُّ بْنُ أَبى طالب وأُسَامَةُ بنُ زَيْد.

إِنَّ اللَه قَد امْتَحَنَ هؤُلاَءِ المؤْمنين فى هَذا الموْقِف العَصِيبِ فَحَقَّقوا أَقْصَى غَاياتِ النَّجاحِ.. كان الموتُ يحيطُ بهم ويَتَغَشَّاهُم.. ومَع ذَلِكَ ظلُّوا ثابتينَ حوْلَ النَّبى ﷺ.. لا يُخِيفُهمْ أَنَّ المُسْلِمينَ وَلَّوْا الأَدْبَار، وأَنَّ الْمُشْرِكين سَيَقْتَرِبُون مِنْهم وَيُمَزِّقُونَهُم بحَدِّ السُّيوف.. وإِنّما كَانَ إِيمانُهم بمثابَةِ سِياجٍ مَتينٍ يَقيهم الخَوْفَ والْفَزَعَ.. ولهذا وقَفُوا مَوْقِفًا رَائِعًا خَلَّدَه اللهُ فى كِتَابِه، وأَشَادَ بهِ تَاريخُ البُطُولاتِ والأَبطالِ.



حصاد المعركة

وبَعْدَ أَن انْطَلَقَ نِدَاءُ النَّبِىِّ ﷺ فى أَرْجَاءِ الوَادِى، وانْطَلَقَ أَيضًا نِدَاءُ عَمِّه العَباسِ يدْعُو المسلمينَ إِلَى العَوْدَةِ للقتالِ، عاد المسلمونَ إِلَى لقَاءِ عَدُوِّ اللهِ وَعَدُوِّهِم، والْتحَمَ الفريقَانِ فى قِتَالٍ عَنِيفٍ، أَبْلَى الْمُسْلمونَ خِلالَهَ بَلاءً حسَنًا، حتَّى أَنزَلُوا بِهوازِنَ والقَبائِلِ المُتَحالِفَةِ مَعَهَا أَقْسَى هَزِيمةٍ شَهِدَتْها الصَّحْراءُ.

---

(١) تقهقر : رجع للخلف .

وإلى هذا يُشِيرُ قَوْلُ اللهِ ـ تعالى ـ : ﴿ وَيومَ حُنَيْنٍ إذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ* ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾[١].

بطولة أسـامة فى حنـين

إنَّ مَا يَعْنِينا هُنَا مَوْقِفُ أُسَامَةَ بْن زَيْدٍ فى ساعةٍ من أَحْرَجِ السَّاعَاتِ التى مَرَّ بها النَّبىُّ ﷺ: كانَ أُسامةُ فى السَّادسةَ عشْرةَ مِنْ عُمرِهِ، وكانتْ هذه أَوَّل غَزْوةٍ يَخْرُجُ فيها مَعَ النَّبىِّ ﷺ : وتشاءُ الأَقْدارُ أَن تَكُونَ امْتحَانًا قَاسِيًا لِلْمُؤْمنينَ، وَيَثبتُ أُسَامةُ أَمَامَ مَشَاهِدِ الموْتِ، وأمامَ أَشْبَاحِ الخَطَرِ، فى الوَقْتِ الذى أَدْبَرَ فيهِ الأَبْطَالُ الصناديدُ مِنَ الْمُسْلِمينَ..

تباشـــير القيـــادة

مَوْقِفٌ تَرَكَ أَثَرًا عَميقًا فى نَفْسِ النَّبى ﷺ نَحْوَ أُسَامةَ، ورَفَعَ مِن مَكانَتِه فى نفوس أقربِ المقرَّبينَ إِلَيْه ـ الَّذينَ افتدَوْه بأَرْواحِهِمْ فى سَاعَةِ الْخَطرِ، وقَد تَأَكَّدِ لِلنَّبىِّ ﷺ وبعض صحْبه أَن أُسامَةَ جَديرٌ بأَنْ يكونَ قائِدًا فى هذه السِّنِّ البَاكِرَةِ، لأَنَّه يَمْلِكُ كُلَّ طاقاتِ وَمَواهِبِ القَائدِ الشُّجاعِ، ويسْتَطِيعُ فى اللَّحظاتِ الحَرِجةِ أَنْ يَظَلَّ ثابِتَ الجَنَانِ[٢]، قوىَّ البَأْسِ، لايَضْعُفُ ولايَلِينُ.

كانَ أُسَامَةُ مِن المُؤمنينَ الأَحَدَ عَشَر الَّذين أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهم

(١) سورة التوبة (الآيتان ٢٥، ٢٦).

(٢) الجنان : القلب .

لحظَةَ إِدْبارِ المُسْلمينَ فَعَرَفَ كَيف يَتَجَلَّى الله عَلَى قُلوب الْمُؤمِنين إِذا نَزلتْ بهِم مِحْنَةٌ (١)، وَكَيْف يُظِلُّهمْ بِقُوَّتِه إِذا حاقَتْ بهم كارِثَةٌ..

النبــي يضمــر أمــراً

عاد النَّبىُّ ﷺ وَعادَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ هَذِه الغَزْوَةِ محمَّلِينَ بالغنائم والأَسلاَب (٢).. ولَكنَّ النَّبى ﷺ قَرَّرَ أَمْرًا، وحَبَسَهُ فى صَدْرِه حتَّى يحِينَ مَوْعِدهُ.. كان هذَا الأَمْرُ هو تَعْيينُ أُسَامَةَ قَائِدًا للجَيْش فى إِحدى الغَزَوات القادِمَةِ.

ولَكن هل يَرضى كبار المهاجرين والأَنْصَار أَن يكونَ على رأَسهم شابٌّ فى مُقْتَبَلِ العُمْرِ، وكلٌّ منهم تُوجد بجَسَدِهِ آثَارُ جِراحٍ مِنَ الْمَعَارِكِ الَّتِى خاضَها مع النَّبى ﷺ ؟ وهَل مِن الممكن أَن يَقْتَنع كبارُ الصَّحَابَةِ بكِفَايَةِ شَابٍّ فى مِثْلِ سِنِّ أُسامة لدُخُولِ مَعركةٍ من أَخْطَر المَعَارِكِ التى يحْسبُون لَهَا أَلْفَ حِسَابٍ ؟

كلُّ هذه الخواطِرِ دارتْ بذهْن (٣) النَّبَىِّ ﷺ، ولَكنَّه كان مُقْتَنِعًا بِصِحَّةِ رَأْيه، ومُؤْمِنًا بِصَوابِ فِكْرَتِه.. كما أَنَّه مُقْتَنِعٌ بأَنَّ حَوْلَه رجَالاً لَهم شأْنُهم وخَطَرُهم مِثْل أَبى بكْرٍ وعمرَ وعلىّ لَنْ يَعْتَرِضُوا على رَأْيهِ، ولن يَتَنَكَّرُوا لِفِكْرَتِه..

ومَع ذَلكَ فإِنَّ هذه الخَطْوَةَ سَتكُونُ امتِحَانًا لِقُلوبِ المؤُمنينَ.. إِنَّهم يعْلمُون أَن النَّبىَّ ﷺ لايَنْطِقُ عَنِ الهوَى، ولايُفَكِّرُ إِلا ومِلْءُ ذهْنِهِ إِشْرَاقٌ مِنَ السَّماءِ.. وإِذا مَا ارْتأَى رَأْيًا فَإِنَّ لَهُ سَنَدًا مِنَ الْوَحْى، أَو مَدَدًا مِنْ صَفَاء العقْلِ ونَقَاءِ التَّفْكير..

---

(١) محنة : بلاء وشدة .

(٢) الأسلاب : ما يؤخذ من العدو فى الحرب قهرًا.

(٣) بذهن : بعقل .



المناقشة



س ١ : يؤكد التاريخ الصلة القوية بين فتح مكة، وغزوة حُنين .
اشرح. وعلل لما تقول.

س ٢ : جمعت هوازن أمرها لتضمن النصر .
دلل على صدق هذه العبارة.

س ٣ : موقف النبى يوم حُنين، درسٌ لقادة الحرب المعاصرين.
وضح ذلك.

س ٤ : أكمل العبارات الآتية، بما تراه مناسبًا :
(أ) الزهو والخيلاء فى الحرب ....
(ب) الإيمان والثبات.........

س ٥ : ما وجه بطولة أسامة يوم حُنين ؟ وهل تحب أن تكون بطلاً مثله؟

س ٦ : للفئة المؤمنة موقف عظيم سجله القرآن .
اشرح الموقف، ثم اكتب الآية القرآنية .

س ٧ : علل ما يأتى :
(أ) قيادة أسامة امتحان للصحابة.
(ب) إخفاء النبى لقرار اتخذه ولم يعلنه.
(جـ) ساقت هوازن وثقيف كل ما تملك.
(د) قول بعض المسلمين لن نغلب اليوم عن قلة .

س ٨ : ضع علامة (3) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (5) أمام العبارة غير الصحيحة.
(أ) وقف المسلمون وراء مضايق وادى حُنين وشِعابه. (   )
(ب) هجم المسلمون على أعدائهم فأخذوهم مرة واحدة. (   )

(جـ) تقهقر المسلمون فناداهم النبى : هلموا إلى ....(   )

(د) أنزل المسلمون بهوازن وحلفائها أقسى هزيمة شهدتها الصحراء. (   )

(هـ) كانت غزوة حنين، أول غزوة يخرج فيها أسامة مع النبى ﷺ. (   )

س ٩ : رتب الأحداث الآتية حسب الوقائع التاريخية.

(أ) فتح مكة.   (ب) غزوة حُنين .   (جـ) صلح الحديبية.

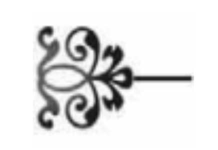
س ١٠ : تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين :

كانت غزوة حُنين فى السنة (الثامنة ـ السابعة ـ السادسة للهجرة).

كان سن أسامة فى غزوة حُنين (١٦ سنة ـ ١٥ سنة ـ ١٤ سنة).



الفصل الخامس



الأيام الأخيرة في حياة النبى ﷺ

تقديم:

تمَّ فَتْحُ مَكَّةَ لِلْمُسْلِمين وانتصَروا عَلَى قَبيلَتَىْ هوازنَ وثقيف وَمَنْ شَايَعَهُمَا[1] من القَبائِل فى غَزْوةِ حُنَيْنٍ ، وخَشِىَ الرُّومُ لِقاءَهُم فى تَبُوك ، فَارْتَدُّوا إِلَى دَاخِلِ بِلاَدِهم يَتَحَصَّنُون بهَا خَوْفًا مِنَ الْمُسْلِمينَ.. وَدَخلَ كثيرٌ مِنَ الْعَرَبِ فى دِينِ الله أَفواجًا ..

النبى يفكر فى غزو الروم

كَانَ النَّبِىُّ ﷺ يَتَمَتَّعُ بِقِسْطٍ وَافِرٍ منَ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيةِ رَغْمَ الْمَشَاقِّ الَّتى كَانَ يُكابدهَا لَيل نَهار فى سَبِيلِ نَشْرِ الدَّعْوَةِ الإِسْلامِيَّةِ ، وكانت فِكْرَةُ غَزوِ الرُّوم تُلِحُّ عَلَى ذِهْنِه ، وَتَحْتَلُّ جَانِبًا كَبِيرًا مِنْ نَفْسِه .

إِنَّه لَمْ يَنْسَ مقْتَلَ زَيْدِ بن حَارِثَةَ وجَعْفَر بْن أَبى طَالِب وعَبْدِ الله بْن رَوَاحَةَ فِى غَزْوَةِ مُؤْتَةَ .. وَلَمْ يَنْس أَنَّ خَالِد بْن الوَلِيدِ استطاعَ بِعَبْقَرِيَّتِه الْحَرْبِيَّة أَنْ يَعُودَ بالْجيْش قَبْلَ أَن تَنْزِلَ بِهِ خَسَائِرُ جسيمةٌ فِى تِلْكَ الْغَزْوَةِ. وَلَمْ يَنْسَ أَيْضًا أَنَّهُ ذَهَبَ بِنَفْسِهِ لِمُحَارَبَةِ الرُّوم ، فَانْخَلَعَتْ قُلُوبُهمْ من لِقَائِه ، وَفَرُّوا دَاخِلَ بِلاَدِهم ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُنْزِل بِهِم الهَزِيمَةَ التى كان يتمَنَّاهَا.

---

(١) ومن شايعهما : ومن تابعهما .

أَلَحَّتْ هَذِهِ الْخَواطِرُ عَلَى ذِهْنِ النَّبِيِّ ﷺ بِصُورٍ مُتَلاَحِقَة ، مما جَعَلَهُ يَدْعُو الْمُسْلِمينَ إِلَى الاسْتِعْدَادِ لِغَزْوِ الرُّوم .

ولأَوَّلِ مرّةٍ يُعْلنُ النبىُّ ﷺ صراحةً عَن المَكانِ الَّذِى سيذْهَبُ إِلَيْهِ المُسلِمُونَ ، إِذْ أَنه اعْتاد عَليهِ السَّلامُ فِى غَزَوَاتِه السَّابِقَةِ أَنْ يُخْفِىَ أَمْرَها حتّى لاَ تَسْبقَ أَنْبَاؤُها إِلَى أَعْدَائِه .

ولكِنَّه فى هَذِهِ الغَزْوَة اتَّخَذَ أُسْلُوبًا جَدِيدًا .. إِنَّه يُرِيدُ مِنْ كِبارِ المُهاجِرِينَ والأَنْصَارِ أَنْ يَخْرُجُوا فى هَذِه الغَزْوةِ حتَّى يُنْزِلوا بالرُّومِ هَزِيمَةً تُغَطِّى عَلَى ما حدَث للمسلمينَ فى مُؤْتَةَ ..وَفِعلاً أَقْبَلَ المُسلِمُونَ مِن كلِّ حَدَبٍ وصوبٍ [1] مُلَبِّينَ نِدَاءَ الرَّسُولِ ﷺ ، وَأَعلَنُوا استِعْدادَهم للخُرُوجِ إِلَى حَرْب الرُّوم .

النبى يولى أسامة على الجيش

وَجاءَ اليَومُ التَّالِى ، والمُسْلِمُون كُلٌّ مِنْهُم يجهِّزُ مَتَاعَهُ ، وَيُعِدُّ سِلاحَه، انْتِظَارًا لأَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ بالتَّحَرُّكِ .

كان أُسَامَةُ بن زَيْدٍ أَشَدَّ المُسْلِمينَ اغْتِباطًا بِهَذِهِ الغَزْوَةِ .. إِنَّ الفُرْصَةَ قَدْ واتَتْهُ لِيثْأَرَ مِنَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَبَاهُ فى مُؤْتَةَ .. وَلِيَشْتَرِكَ فى إِنْزالِ هَزِيمَةٍ سَاحِقَةٍ بالرُّوم ..

أَخَذَ يُجهِّزُ أَدَواتِ القِتَالِ ، وَفِكْرَةُ الثَّأْر مُسْتَوْلِيةٌ عَلى ذِهْنِه ، وَإِذْ هُوَ كَذَلكَ بَعَثَ إِلَيْهِ النَّبىُّ ﷺ أَن يَحْضُرَ لِمُقَابَلَتِه ..

أَسْرَعَ أُسَامَةُ إِلى بَيْتِ النَّبِىِّ ﷺ .. وَهُناكَ طَبَع ـ عَلَيْه الصلاةُ والسَّلامُ ـ قُبْلَةً حانِيةً عَلَى جَبِينه ، وَأَجْلَسهُ بجانِبه ، وَقالَ له :

« سِرْ إِلَى مَوضِعِ مَقْتَلِ أَبِيكَ ، فَأَوْطِئْهُم الخَيْلَ ، فَقَدْ وَلَّيْتُكَ هَذا الْجَيْشَ ، فَأَغِرْ صَباحًا عَلَى أَهْلِ أُبْنَى ، وحَرِّق عليهم ، وَأَسْرِع السَّيْرَ

(١) من كل حدب وصوب : من كل جهة .

تَسْبق الأَخْبَارَ ، فَإنْ ظَفَركَ الله فَأَقلِلِ اللُّبثَ فِيهِمْ ، وخُذْ مَعَك الأَدِلاَّءَ، وقَدِّم الْعُيُونَ والطلائِعَ أَمَامَكَ » .

عَقَلَت[1] المُفَاجَأَةُ لِسَانَ أُسَامَةَ فَلَمْ يسْتَطِعْ أَنْ يَنْبس بكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ .. إن الاشْتِرَاكَ فى غَزْوِ الرُّوم كَانَ أَقْصَى أُمْنِيَّة لَهُ ، فَما بَالَهُ وَقَدْ عُيِّنَ قَائِدًا لِجَيْش سَيَضُمّ كِبَارَ المهَاجِرينَ والأَنْصار .. أىّ شَرَف يُعَادِلُ هَذا الشَّرَفَ ؟ وأَىّ إكْلِيلٍ مِنْ العَظَمَةِ سَيُحَلِّى جَبِينَهُ ، إذْ يَسِيرُ فى مُقَدِّمَةِ هَذا الْجَيْشِ..

القائد الصغير

انْصرَفَ أُسَامةُ مِنْ بيت النَّبِىِّ ﷺ شاكرًا مُغتبطا[2] بما أَضْفَاهُ عَلَيْهِ مِنْ ثقةٍ وما أَسبَغ[3] عليهِ من تَقْدِير ، إذْ جَعَلَهُ أَمِيرَ الجَيْش وَهُوَ لَمَّا يَبْلُغْ العِشرينَ مِنْ عُمْرِهِ ، وَجَلَسَ فى بَيْتِه يحْدس[4] بِما سَيَكونُ لهذَا النبأ مِن وَقْع فِى نفُوس المُسْلِمينَ ..

وَطَلَعَ فجرُ اليوم التالى ، وَأَحسَّ النَّبىُّ ﷺ بَعْدَ أَداءِ الصَّلاَةِ بِصُدَاعٍ وَارْتِفاعٍ فى دَرجَةِ حَرَارتِهِ ، وَلكنَّ المرض لم يكُنْ منَ الشِّدةِ بِحَيْث يُلزمُه فِرَاشَه .

النبى يعقد اللواء لأسامة

اسْتَدْعَى النَّبى ﷺ أسامةَ لِلْمرَّةِ الثَّانِيةِ وعقَدَ لَه اللواء[5] بيديه الشَّرِيفَتَيْن ، ثُمَّ قَال لَهُ :

« اغزُ باسْم الله ، فى سَبيلِ الله ، فَقَاتِلْ مَن كَفَرَ بِالله » .

---

(١) عقلت : حبست . (٢) الغبطة : حسن الحال .

(٣) أسبغ : أَعَمّ .

(٤) يحدس : يظن ظنا مؤكدًا .

(٥) اللواء : علم الجيش دون الراية .

تَنَاوَلَ أُسَامةُ اللَواءَ منَ النَّبىِّ ﷺ وَعَيْنَاهُ تَشعَّانِ ببَريقِ الغِبْطَة ، ومَلاَمِحُ وَجْهِه تَنْطِقُ بالسُّرورِ .. ثُمَّ رَفَعه إِلى بُرَيْدَةَ بْنِ الحُصَيْبِ الأَسْلَمِى.. وخرج لِيُعَسْكِرَ بالجَرْفِ .. وَهُوَ مَكانٌ يَبعُدُ عَن المدينَةِ بِحَوالى ثَلاَثَةِ أَمْيَال ..

بَدَأَ المسْلِمُون يَتَوَافَدُون[1] على الْجَرْفِ لِيُعَسْكروا فيه ، وَكَانَ مِنْ بَيْن المنتَدبين[2] لِهذه الغَزوَةِ : أَبُو بَكر الصِّدِّيقُ وَعُمَرُ بنُ الخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَة بْنُ الْجرَّاحِ وَسَعْدُ بْنُ أَبى وَقَّاص وَكبَارُ المهَاجرينَ وَالأَنصَار ..

وبَيْنَما الْمسلِمُون يَتَجمَّعُونَ بالجَرْفِ ، اشْتَدَّتْ الحُمَّى بالرَّسُول ﷺ، وَكَانَ فى بَيْتِ مَيْمُونَةَ ، فَاسْتَأْذَنَ نِسَاءَهُ أَنْ يُجْرَى تَمْرِيضُه فى بَيْتِ عَائِشَةَ . ولَمَّا أَذِنَّ لَهُ خَرجَ عَاصِبًا رَأْسَهُ ، يَتَوكَّأُ عَلى علىِّ بْن أَبى طَالِب وَعَلى عَمه العَبَّاس ، وَهُوَ فى أَشَدِّ حَالاَتِ الإِعياءِ .

ونَمَى إِلَيْه[3] - وهُوَ عَلَى هذِهِ الحَالِ من المرَض والآلام - أَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمينَ مُتَذَمِّرُون[4] مِن تعيين أُسَامَة قَائدًا عَلى جَيْشٍ يضمُّ أَجلاَّءَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصارِ .

خروج النبى إلى الناس وهو مريض

وخَشِىَ النَّبىُّ ﷺ أَنْ يَسْتَغِلَّ الْمُنَافِقُونَ هَذا التَّذَمُّر وَيُحَوِّلُوهُ إِلى فِتنَةٍ بَيْن صُفُوفِ الْمُسلمينَ ، فَطَلبَ مِنْ أَهْلِهِ أَن يَسْكُبُوا عَلَيْهِ سَبْعَ قِرَبٍ مُلِئْنَ منْ سَبْعِ آبَارٍ مُخْتلِفَةٍ ..

وَسَرْعَانَ مَا أُحْضِرَتْ القِرَبُ السَّبْعُ وأُقْعِدَ ﷺ فى طِسْت لحَفْصَة ، وقد صُبَّ عَليْهِ مَاءُ القِرَبِ ، ولما ابْتَرَدَ جَسَدُهُ ، وخَفَّتْ درجةُ حَرَارتهِ

(١) يتوافدون : يحضرون جماعات . (٢) المنتدبين : المدعوّين .
(٣) نمى إليه : بلغه .
(٤) متذمرون : ثائرون .

قال : حَسْبُكُم .. حَسْبُكُم[1] ثُمَّ عَصَب رَأْسَه ، وَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وخَطَب فى المُسْلِمِينَ قَائِلاً :

أَيُّها النَّاسُ .. أَنْفِذوا بَعْثَ أُسامَةَ ، فلَعَمْرِى لَئِنْ قلْتُم فى إمارَتِه لَقَدْ قُلْتُمْ فى إِمَـــارةِ أَبيه مِنْ قَبْلِهِ ، وإِنَّهُ لَخَلِيقٌ للإِمَارةِ ، وإِن كانَ أَبُوه لَخَليقًا لَها .

ثمَّ أَشَارَ عَلَيْهِ السَّلامُ فى خُطْبَتِه إِلَى أَنَّ الله خيَّرهُ بَيْنَ الدُّنْيا والآخِرَةِ وَبَيْنَ ما عِنْدَه فاخْتَارَ ما عِنْدَ الله ، وهُنَا أَجْهَش[2] أَبُو بَكْرٍ بِالبُكاءِ ، وَعَرَفَ أَنَّ النَّبِىَّ سَيَذْهَبُ إِلى الدَّارِ الآخِرَةِ .

وَفى نِهَايةِ خُطبَتِه أَوْصَى بالأَنصارِ ، إِذْ قَالَ : يَا مَعْشَرَ المُهاجِرِينَ .. اسْتَوْصُوا بِالْأَنْصَارِ خَيْرا ، فَإِنَّ النَّاسَ يَزيدُون ، والأَنْصَارَ عَلى هَيْئَتِها لا تَزِيدُ ، فَاقبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وتَجَاوزُوا[3] عَنْ مُسِيئِهِمْ .

أَلقى النبىُّ ﷺ هذه الخُطبَة فى يَوْمِ السَّبْتِ .. ثمَّ عَادَ إِلى بَيت عَائِشَةَ.

وفى يَوم الأَحَدِ اشتَدَّ المَرَضُ بالنَّبىِّ ﷺ ، وَتَناقَلَ النَّاسُ أَنْبَاءَ الْمَرَضِ حَتَّى سَمِعَ بِها أُسَامةُ ومَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمين فى الْجَرْفِ ، فَتَرَكُوا المُعَسْكَرَ، وحَضَروا إِلى بَيْتِ النَّبِىِّ ﷺ ، ودَخَلَ عَلَيهِ أُسَامَةُ فَوجَدَهُ لا يَتَكلَّمُ ..

وَهُنَا طَأْطَأَ[4] أُسَامَةُ حَتَّى قَبَّلَهُ النَّبىُّ ﷺ ، ثُمَّ جَعَلَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَيَضَعُهما عَلى أُسَامَةَ ، عَلامَةَ الدُّعَاءِ لَهُ ..

عَاد أُسَامَةُ إِلى الجَرْفِ ، وعَادَ مَعَه المُسْلِمُونَ ، وَلَيْس بَيْنَهُمْ مَن يُفَكِّرُ فى أَنَّ شَمْسَ النُّبُوَّةِ ستُؤذِنُ بالمَغيبِ .

---

(١) حسبكم : يكفيكم .
(٢) أجهش : شهق بالبكاء .
(٣) تجاوزوا : اعفوا .
(٤) طأطأ : انحنى .

وبَزَغَتْ شَمْسُ يوم الاثْنَين ، والنَّبىُّ ﷺ فى حَالة طيِّبةٍ مِنَ الصحة ، لا يَشكو مِنَ الصُّدَاع ، وَلا مِن ارْتِفَاعِ درجةِ الْحَرَارة .. وَاطْمأَنَّ المسْلِمُونَ إلِى أَنَّ المرْحَلَة الخَطِرةَ مِن المَرَضِ قد انْتهَتْ ، وَأَنَّ النَّبِىَّ ﷺ دَخلَ مَرْحَلةَ الشفاءِ ..

وَعِنْدَ الضُّحى حَضرَ إِلَيْهِ أُسَامَةُ ، وَلَمَّا وَجَدَ أَمَارَات الصِّحَّةِ بادِيَةً عَلى وَجْهِهِ اسْتَأْذَنَهُ فى التَّحَرُّكِ بِالْجيْشِ لغَزْوِ الرُّوم .. فَقَال له النَّبىُّ ﷺ : اغْزُ عَلى بَركَةِ الله.

كانَ هَذا آخِرَ لقاءٍ بين النبىِّ ﷺ وبَيْنَ أُسامَة ، وكانَتْ هَذِه آخر كلمات يَسْمعُهَا أُسَامةُ مِن فمِ الرَّسُول ـ عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلاَم ـ .

انْطَلَقَ أُسَامةُ إِلى الجَرْفِ يُعْلِنُ بَدْءَ التَّحَرُّكِ إِلى حدودِ الشامِ ..

وبدأَ المُسلمُونَ يأْخُذُونَ أُهْبَتَهم[1] لِلرَّحِيلِ .

وَلكن قَبْلَ أَنْ تَمُرَّ بضْعُ سَاعاتٍ فوجِئَ أُسامةُ بِزَوْجتِهِ مُقْبلَةً عَلَيْه.

أَحَسَّ لَحْظَتها أَنَّ شَيْئًا خَطِيرًا قَدْ حَدَثَ .. وتَلاَحقَتْ دَقَّاتُ قَلْبِهِ.. وَلَكِنَّه لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَحْدِس[2] بِالضَّبْطِ سَبَبَ حُضُور زَوْجته..

وفَكَّرَ فى مَرَض النَّبِىِّ ﷺ .. إِنه تركَه منذُ ساعاتٍ قد تخَطَّى مرحَلَة الخَطر .. ماذا حدَثَ إِذَنْ ؟ وإِذ هُو فى هَذِه الْحالَةِ مِن التَّوَجس[3] .. بادَرَتْه زَوْجتهُ بِقَوْلِها .. إِنَّ المرَضَ اشْتَدَّ بالنَّبىِّ ﷺ ، وحيَاتُهُ فى خَطرٍ!!

حَياةُ النَّبىِّ فِى خَطَرٍ !! .. كَلمةٌ سَمِعَها أُسامةُ فَكَادَتْ تَتَمزَّقُ مِنْها نَفْسُه .. بَلْ كادَت تَخُور قُوَاهُ فَيَسْقُطُ عَلى الأَرْض ..

نَظَرَ إِلى زَوْجَتِهِ لَحظَاتٍ لا يَدْرِى كَيْفَ مَرَّتْ عَلَيْهِ .

(١) أهبتهم : استعدادهم . (٢) يحدس : يظن .
(٣) التوجس : الترقب خوفاً .

وَظَلَّ شَارِدَ الْفِكْرِ .. يُحِسُّ كَأَنَّ الدُّنيا كُلَّهَا أَوْصَدَت[١] أَبْوابَها فى وَجْهِه..

إِذَا حاوَلَ أَنْ يتكلَّمَ تَذوبُ الكلِماتُ عَلى شَفتيه .. وَإِذَا أَرادَ أَنْ يبكى تَتَجَمَّدُ الدُّمُوعُ فى عَيْنَيه ، وتَتَحَدَّرُ إلى نَفْسِه لاَذعةً كالجَمرِ .

وَفى نبَرَاتٍ خَافِتَةٍ حَزِينةٍ أَعلَنَ أُسامةُ فى الجيشِ أَنَّ حَيَاةَ النبىِّ ﷺ فى خَطَرٍ..

فَزِعَ الْمُسلِــمونَ لهذا النبأ ، وَتَرَكُوا الْمُعَسْكَر ، وَعَــادُوا مُسْرِعينَ إلى المَدِينَةِ..

وَعِندَمَا وَصَلُوا إِلى بَيتِ عَائِشَةَ كَانَتْ الشَّمسُ قَد آذَنَت بالمغِيبِ ، وَفى الوَقْتِ نَفْسِه كانَت شَمسُ النُّبُوَّةِ فى طَرِيقها إلى حَيْثُ يَرقُد النَّبيُّون فى أَعلىَ عِلِّيين ..

سَمعَ أُسَامةُ بوَفاةِ النبىِّ ﷺ ، فَركَزَ اللِّواءَ على بابِ بَيتِه ، ودَخَل يُلْقى عَلَيْه نَظْرةَ الوَداعِ .. إِنَّ الحزْنَ الذى تَمَلَّكَهُ فى هذه السَّاعةِ شىءٌ يَعجِزُ عنهُ الوصفُ .

لو أَنَّ عَيْنَيْه أُطْفِئَتا .. لو أنَّ كَبدَهُ تمزَّقَتْ .. لو أَن جَسَدَهُ أُلْقِى حَيًّا فى أَتونٍ[٢] مُلْتهبٍ .. لما كَان كلُّ ذلك يُعادِلُ قَطْرةَ حُزْنٍ مما يَجْرى فى عُرُوقِه ، وَيَمْلأُ كِيانَه كلَّه .

إِنَّ أُسَامَةَ كَان جُزْءًا منْ قَلْبِ النبىِّ .. كانَ هذا القلبُ الكبيرُ يَنْبِضُ بِحُبِّ أُسامَةَ.. كما كانَ يَنْبضُ بحُبِّ أَبيه زَيْد بن حَارِثَة مِنْ قَبْله ..

وأبى أُسَامَةُ إلاَّ أَن يَشترِكَ فى غَسْلِ الرَّسُولِ ﷺ ، فوقف هُو ومَوْلى النَّبىِّ يَصبَّانِ الماءَ على جُثْمَانِه[٣] الطَّاهِر ، ويُشيِّعانِه بِنَظَراتٍ كلها أسىً والتِيَاعٌ[٤] .

---

(١) أوصدت : أغلقت .
(٢) أتون : فرن يشتعل نارًا .
(٣) جثمانه : جسده الشريف .
(٤) أسى والتياع : حزن وألم.



المناقشة

س١ : بلغت الدولة الإسلامية فى أواخر أيام النبى ﷺ عمرها الفتى.
دلل على صدق هذه العبارة .

س٢ : متى فكر النبى ﷺ فى تأمين حدود الدولة الإسلامية ؟ وما الخطة التى رسمها؟

س٣ : علل ما يأتى :
(ا) عقلت المفاجأة لسان أسامة .
(ب) تذمر بعض المسلمين من قيادة أسامة .
(جـ) تفكير النبى ﷺ فى حرب الروم .

س٤ : أكمل ما يأتى بكلمة واحدة :
« خَشِيَ .... أن يستغل.... هذا التذمر ويحولوه إلى.... بين .... فخطبهم النبى قائلا : أيها .... أنفذوا .... أسامة » .

س٥ : خطب النبى ﷺ المسلمين وهو فى مرضه فأجب عما يأتى :
(ا) ما مناسبة الخطبة ؟
(ب) ما الأفكار التى دارت عليها الخطبة ؟
(جـ) لماذا أجهش أبو بكر بالبكاء ؟

س٦ : اختر الإجابة الصحيحة بوضع علامة (✓) ، مما بين القوسين فيما يأتى:
(ا) خرجت زوجة أسامة إلى الجرف :
(لتشترك فى الحرب ـ لتودع زوجها أسامة ـ لتخبر زوجها بشدة مرض النبى).
(ب) رجع الجند من معسكر الجرف إلى المدينة :
(لأنهم لا يريدون الحرب ـ لأنهم مجتمعين على قيادة أسامة ـ ليعودوا النبى ﷺ فى مرضه) .

الفصل السادس

امتحـــان عســـير

تقديم:

كانت وفاة النبى ﷺ امتحانًا عسيرًا للمسلمين ، فقد ثبت المؤمنون على إيمانهم ، ورفضوا أن يفرطوا فى شىءٍ من أمور الإسلام.

قال أبو بكر عن المرتدين:

«واللَّه لو منعونى عقالاً كانوا يؤدونه رسول اللَّه ﷺ ، لقاتلتهم عليه» .

وجاء عمر بن الخطاب إلى أبى بكر برأى الأنصار فى قيادة أسامة للجيش، فأخذ الخليفة بلحيته وقال له :

« ثكلتك أمك يا ابن الخطاب .. استعمله رسول الله وتأمرنى أن أنزعه » .

حال الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول

كانَتْ وَفاةُ النبى ﷺ امتحَانًا عسيرًا لِلمُؤْمِنِينَ والمُنَافِقِين[1] على السواءِ ، المؤمنونَ تشبثوا[2] بِدِينِهِمْ وأَبَوْا أَنْ يُفَرِّطُوا فِيه والمنافِقون أَعْلَنُوا ارتدادهم عَنِ الإسلام ، وجَهرُوا بِهذِهِ الرِّدَّةِ [3] ، مما جعَلَ اليهودَ والمشركين يَتَحَفَّزون[4] لِقِتَالِ المسلمين ، وأَوْشكَ الموقِفُ أَنْ يَنْفَجِرَ ..

(١) المنافق : هو الذى يظهر خلاف ما يبطن .
(٢) تشبثوا : تمسكوا .
(٣) الردة : الكفر بعد الإسلام .
(٤) يتحفزون: يستعدون .



ومِمَّا زادَ المَوْقِفَ حدةً وسُوءًا ما ثارَ بيْنَ الأَنْصَارِ والمهَاجرينَ مِن جَدَلٍ حَوْلَ الخِلاَفَة قبلَ مُبَايَعَةِ أَبى بكر ..

مَوْقِفٌ يَتطَلَّبُ الحزْمَ ، وَيَتطَلَّبُ الحكمةَ.. وإلاَّ انْقلَبَ دَمَارًا وهَلاَكًا.

إنَّ أَبا بَكرٍ يَبْدأُ خِلاَفَتَهُ بأَخْطَرِ مَا يَبْتَدِئُ به حاكمٌ عَهْدَهُ .. إنه أَمَامَ فِتْنَةِ المُرتَدِّين ، وأَمامَ تربُّصِ اليهودِ والمشركين .. وأَمَام محنةِ المتَذمِّرِين[1] على تَوْليةِ أُسَامةَ قيادةَ الجَيْشِ ..

كيفَ يَتَصَرَّفُ فى هذا الموقفِ ، وكلُّ شَىءٍ حَوْلَه يُنْذِرُ بالخَطَر ..

إعلان أبى بكر إتمام بعث أسامة

هَل يؤجِّلُ إرسال جَيْشِ أُسامةَ حتى يَفْرُغَ من القضاءِ على أَهْلِ الرِّدَّةِ؟ وحتَّى يَتأَهَّبَ [2] لمحاربة اليَهودِ والمشركين إذَا هَبُّوا لمناجَزَةِ [3] المُسْلمينَ .

إن الموتَ أَهْوَنُ عَلْيه مِنْ أَن يُخالِفَ أَمْرَ الرَّسول ﷺ .. لقد أَمَرَ الرَّسولُ بإنفَاذِ [4]جَيْشِ أُسَامةَ ، وهو عَلى فِراشِ المَوْتِ .. وأَصَرَّ عَلى أَن يكونَ أُسَامةُ قائدَ الجَيْشِ رغم اعتراضِ عَدَدٍ كبيرٍ من المهاجرينَ والأنصار..

إذنْ لا خيارَ فى هذَا الأَمر.. جَيْشُ أُسامـةَ يَجبُ أَنْ يَنطلِقَ لقتالِ الرُّوم..

هذا أَوَّلُ خاطِرٍ دَارَ بذهْنِ أَبى بكر ، وهوَ فى السَّاعاتِ الأُولى من بدايَةِ حُكمِهِ .. وعلَى الفورِ أَعلَنَ فى النَّاس : لِيَتِمَّ بَعْثُ أُسامةَ ..

امتحان أبى بكر على أيدى السابقين الأولين

كان أَبُو بكْرٍ يَعْلَمُ أَنَّ إرسالَ جَيْشِ أُسَامةَ سَيُثِيرُ حوْلَه بعض الجدل .. ومعَ هذَا كان تَنْفِيذُ أَمْرِ النَّبىِّ ﷺ عندَهُ أَهمَّ كثيرًا من نقدِ النَّاقدِين ، وتَذَمُّرِ المُتَذَمِّرينَ ..

---

(١) المتذمرين : الثائرين .

(٢) يتأهب : يستعد .

(٣) مناجزة : قتال .

(٤) إنفاذ : خروج وإرسال .

وعندما عَلمَ المسلمُون أَنَّ أَبا بَكرٍ قَرَّرَ إِرْسَالَ جَيْش أُسَامَة ، تَجَمَّعَ نَفَرٌ مِنَ السابقين الأَوَّلينَ فى الإِسْلامِ ، وذَهَبُوا إلى أَبى بَكرٍ وقَالُوا له :
إِنَّ جَيْشَ أُسَامَةَ جُنْدُ المُسْلمينَ ، والْعَرَبُ قدْ انتَقَضَت عليك ، فلا يَنْبَغِى أَنْ تفرِّق عنْكَ جَمَاعة المُسلمِينَ ..

وهُنَا يواجِهُ أَبو بكر أَولَ امتحانٍ له وهُوَ خلِيفَةٌ ..

أَيَسْتجيب لِرَغْبَةِ كبار المُسْلمين ، ويُؤَجِّلُ تحرُّكَ جَيْش أُسَامةَ ؟ أَمْ ينفِّذُ أَمر النَّبىِّ ﷺ ، ويَتحمل مسْئوليَّةَ هذَا الأَمْرِ وحدَهُ ؟

سَمعَ أَبو بكرٍ هذا الرَّأْىَ من كِبار المُسْلمينَ ، فلم يَسْلُكْ سَبيلَ المُحاورَةِ والمدَاورَةِ فى رَدِّهِ ، وإِنَّمَا أَجَابَ إجابةً قَاطِعةً حَسَمَ بِهِا المَوْقِفَ كُلَّهُ . قال :

والَّذِى نَفْسُ أَبى بكرٍ بِيَدِهِ لَو ظَنَنْتُ أَنَّ السِّباعَ تَخْطَفُنِى لأَنْفذتُ بعْثَ أُسَامة[1] ، كما أَمَرَ بهِ رَسولُ اللَّه ﷺ ، ولَوْ لَمْ يَبْقَ غَيْرِى فى القُرَى لأَنفَذْتُه .

كانت إجابة أَبى بَكر بمثابةِ إِشارةٍ إِلَى الطريقِ الَّذى سَيَسْلُكُهُ فى خلافته .. إِنَّه سَيَتَرسَّمُ خُطَى الرَّسُولِ ﷺ ، ويُنفِّذُ تَعاليمه ، ولن يحيدَ[2] عنِ السَّيْرِ فى هذا الطَّريقِ.

موقف الأنصار من قيادة أسامة

وَرَغْمَ أَنَّ إِجَابَةَ أَبى بكْرٍ كانَتْ صَرِيحةً وقاطِعةً ، فإِنَّ الأَنْصَارَ ذَهَبُوا إِلى عُمَرَ ، ونَاشَدُوهُ أَن ينْقُلَ رَغْبَتَهم إِلَى خَليفةِ رسولِ اللَّه فى تَعْيينِ قَائِد للجَيْشِ أَكبرَ سنًّا مِنْ أُسَامةَ ..

وهُنا تَرْتَسِمُ عَلاَمَةُ استفْهامٍ كبيرةٌ .. لِمَاذا لجَأَ الأَنْصارُ إِلى عُمَرَ بالذَّاتِ فى هَذَا المَوْقفِ ؟ أَأَحسُّوا أَنَّهُ يُشاركهمْ وجْدَانياً فى تَعْيينِ بَدِيلٍ

(١) لأنفذت بعث أسامة : لسيرت جيش أسامة .
(٢) لن يحيد : لن ينحرف .

لأُسَامَة ؟ أَمْ أَنَّهُمْ أرادوا أَلاَّ يَنْفرِدُوا بِهذَا المَطْلَبِ ، فَيَجْعَلُوا عُمَرَ شَرِيكًا لَهمْ فِيه ؟

ربَّما تكونُ هَذِه الْفكْرَةُ أَو تِلْكَ طَافَتْ بأَذْهَانِ الأَنْصارِ . ولكِنْ مَا مَوقفُ عُمرَ ؟

إِنَّ تَحْدِيدَ دَوْرِهِ فى هذا المَوْضوعِ سَيكُونُ لَهُ أَثرٌ بَعيدٌ فى أَمْرٍ مِنْ أَخْطَرِ الأُمُور فى بَدْءِ خِلافةِ أَبى بكْرٍ .

الوَاقِعُ أَن عُمَرَ لم يَكُنْ لَهُ رَأْىٌ صَرِيحٌ فى مَسْأَلَةِ أُسامةَ .. أَو بمَعْنى أَوْضَحَ لم يَعْتَرِضْ صَرَاحَةً على تَعْيينِ أُسَامَةَ قَائِدًا لجَيْشٍ سَيكُونُ هُو فِيه أَحدَ الجُنودِ .

و لم يكُن له طَوالَ المُشاوراتِ التى دَارَتْ هُنا وهُناكَ حوْلَ تَعيينِ بديلٍ لأُسامةَ رأْىٌ أَو اتجاهٌ ..

كلُّ ما فَعَلهُ أَنَّه ذهبَ إِلى أَبى بكر ، وعَرَضَ عليه رأْىَ الأَنْصارِ ، دون أَنْ يُؤَيِّدَ رَأْيهُم أَو يفنِّدَه[1] .. كان سَفِيرًا أَمِينًا فى إِبلاغِ وِجْهَةِ نظرِ الأَنْصارِ إِلى خليفَةِ رسولِ اللَّه .. ولكن ماذَا كانَتْ نَتِيجَةُ سِفَارتِه ..

لَقَدْ ثارَ أَبو بكر حينَ سَمِعَ مِنْ عُمَرَ رأْىَ الأَنْصار ، وأَخَذَ بلحْيَتِه ، وقَالَ لَهُ وهُوَ غَاضِبٌ : ثَكِلَتْكَ[2] أُمُّكَ وَعَدِمتْك يا ابْنَ الخَطَّابِ .. اسْتَعْمله[3] رسُولُ اللَّه ﷺ وتَأْمُرنى أَن أَنْزِعَهُ !!

لَوْ أَنَ عُمَرَ كانَ يُؤَيِّدُ وِجْهَةَ نَظَرِ الأَنْصارِ لَوَافَقَ ـ وَلَوْ تَلْمِيحًا ـ عَلى صحَّةِ رأْيِهم، أَو عَلى الأَقلِّ ، تَباحَثَ مع أَبى بَكْرٍ بشَأْنِ خُطُورَةِ المَوْقِفِ فى المدينة، بَلْ فى الجَزيرَةِ العَرَبيَّةِ كلِّهَا . وكانَتْ كلُّ الظُّروفِ المُحيطَةِ بأَبى بكْرٍ تَدْعُو إِلَى التخوُّف مِنْ خُروجِ جَيْشِ

---

(١) يفنده : يعترض عليه .

(٢) ثكلتك : فقدتك .

(٣) استعمله : جعله قائدًا للجيش .

أُسامةَ، إِذْ أَنَّ هُناكَ مَنْ يَتَربَّص[1] بالإِسْلام، وَمَنْ يُحَاولُ أَنْ يَجْعَلَ نِهَايَتَهُ مُرْتَبطةً بوفَاةِ الرسول ﷺ ..

يَقْتَضِينَا الإِنصافُ أَن نَقولَ : إِنَّ عُمَرَ لم يُبْدِ أىَّ اعْتِرَاضٍ على تَعْيين أُسَامَةَ قَائِدًا لِلْجَيْشِ ، وإِنَّما كَانَتْ سفَارَتُه من قِبَلِ الأَنصارِ بمَثابةٍ وضْعِ حدٍّ لبَلْبَلةٍ توشِكُ أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلى انْفجارٍ ..

سياسة أبى بكر

رَجع عُمَرُ إِلى الجَرْفِ ، ونَقَل إِلى المُسْلِمين رَدَّ أَبى بكر .. كانَ رَدًّا حاسِمًا قَطعَ كلَّ جَدَلٍ أَو نِقاش حوْل بَعْثِ أُسامةَ .. وكان بِمثَابةِ خَطٍّ عَريض لسيَاسَةِ أَبى بَكْرٍ التى سيَسِيرُ عَلَيْها بَعْدَ الرَّسُولِ ﷺ ..

لَقَد أَعْلَنَ أَبو بَكْر أَنَّهُ سينفِّذُ كلَّ ما أَمَر به الرَّسُولُ ﷺ .. لا مَجالَ فى ذلكَ لِلأَخْذِ والرَّدِّ ، ولا مَحَلَّ للْمُحَاوَرَةِ والمُدَاورَةِ[2] .

ومِنْ هُنَا كانَ إِصْرَارُه على إِتمامِ بَعْثِ أُسامةَ ، مع عِلْمِهِ بمَا يُحِيطُ بالْمدينَةِ من فِتنٍ ومؤامرات .. وحَاجَته إِلى جَيْش يَحْمِى المدينة مِنَ الخَوَنَةِ .

(١) يتربص : ينتظر ليهجم .

(٢) المحاورة والمداورة : الجدال .

المناقشة

س١ : صور بقلمك الحالة السياسية للدولة الإسلامية ، عقب وفاة النبى ﷺ .

س٢ : اختر الإجابة الأدق مما يأتى بوضع مستطيل حولها .

(أعداء الدولة الإسلامية هم)

(ا) الذين اعترضوا على قيادة أسامة من المنافقين .

(ب) الروم .

(جـ) المهاجرون .

س٣ : ما موقف اليهود داخل الجزيرة العربية من الدولة الإسلامية بعد وفاة النبى ﷺ ؟

س٤ : علل ما يأتى :

(ا) «أرسل الأنصار عمر إلى الخليفة» .

(ب) «رأى بعض المسلمين ألا يتسرع أبو بكر فى حرب المرتدين» .

س٥ : أكمل مكان النقط فيما يأتى :

(ا) أسامة صغير لا يصلح ..... وفى الجيش من هو ..... وأكثر ..... بالحرب .

(ب) لم يكن لـ .... رأى خاص به فى قيادة أسامة ، بل كان .... بين ..... والخليفة .

(جـ) ثبت من تصرف ..... أنه كان ..... وليس مبتدعًا .

س٦ : لخص الأفكار التى دارت حولها حوادث هذا الفصل.



الفصل السابع

أسـامة بطل البلقـاء

تقديم:

تحرك جيش أسامة نحو الروم، يضم كبار المهاجرين والأنصار، ويشهد التاريخ موقفًا إنسـانيًا رائعًا للخليفة، حيث يسير أسامةُ ممتطيًا صهوة جواده، ويسير أبو بكر بجواره على قدميه، فيستحى أسامة ويقول:

«يا خليفة رسول الله، لتركبنَّ أو لأنزلنَّ».

فيأتى جواب أبى بكر، فى قمة التواضع.

«وما علىّ أن أغبر قدمىّ فى سبيل الله ساعة».

مسـيرة جيـش أسـامـة

إِذَنْ لا مَحِيص[1] عَمَّا أَمَرَ به النَّبِىُّ ﷺ، وأَنْفَذَهُ خَلِيفَته أبو بكر.. أُسامَةُ سَيظَلُّ قائدًا لِلجيشِ، رغْمَ ما أُثِيرَ حَوْلَهُ مِنْ مُنَاقَشَاتٍ وخِلافَات.

الجَيْشُ سَيَتَحَرَّكُ لِغَزْوِ الرُّوم، رغمَ آراءِ المعْتَرضِينَ والمُثَبِّطين[2].. وحَدَّدَ أَبو بكر مَوْعِدَ التَّحَرُّكِ.. وراحَ يُوَدِّعُ أَوَّلَ جَيْشٍ فى عَهدهِ يخْرُجُ غَازيًا فى سبِيل اللهِ.

---

(١) لا محيص : لا مفر .

(٢) المثبطين : من ثبط همته انتقص منها وأضعفها .

مشـــهد إنســـانى رائـــع

شَهدتْ ساعةُ الوَدَاعِ أرْوَعَ المَوَاقِفِ الإِنْسَانِيَّة.. أَبُو بكر خَليفَةُ المسْلمينَ ماشٍ عَلَى قَدَمَيْهِ بجوارِ أُسَامةَ وهـو رَاكِبٌ جَوَادَه.. لا لأَنَّ أَبَا بكرٍ لم تَكُنْ مَعَه دابَّتهُ، فَقَدْ كانَتْ خَلفَه يَقُودُها عَبْدُ الرَّحمَنِ بْنُ عَوْفٍ.. وإنّما لأَنَّ أَبا بكر أَرَادَ أَنْ يُقَدِّمَ للإِنْسَانيَّةِ أَرْوَع مَثَل على أَنَّ عَظَمةَ القَائِدِ لَيْسَتْ فى الأُبَّهةِ والفَخْفَخَةِ، وإنَّمَا فى رِقَّةِ الشَّمائِلِ[1]، وحُسْنِ المُعَامَلَةِ، وجَمَالِ الطِّبَاعِ.

وَخَجِلَ أُسَامَةُ حِينَ رأَى أَبَا بكر، وهُوَ شيخٌ وَقور، يمشِى بِجوَارِ جَوَادِهِ، فقال لَه:

«يا خَليفَةَ رَسُولِ اللهِ.. لَترْكَبَنَّ أَوْ لأَنْزلَنَّ».

هُنا يَبْلُغ الموقف الإِنْسَانِيُّ أَقصىَ ذِرْوَةٍ[2] لَهُ مِنَ العَظمةِ والجلالِ.

إِذْ يردُّ أَبو بكْرٍ بلَهْجةٍ كُلها تَوَاضُع قائِلاً لأُسَامةَ :

«والله لا تَنْزِلُ.. ووَاللهِ لاَ أَرْكَبُ.. ومَا علىَّ أَنْ أُغبِّر قَدَمَىَّ فى سَبِيلِ اللهِ سَاعَةً».

وَيَتَملَّكُ أُسَامةَ الخَجلُ مرَّةً أُخْرَى، ويَرَى أَنَّ خَلِيفَةَ رَسُول الله قَدْ غَالَى[3] فى تكْرِيمِهِ، وبَالَغَ فى تَقْدِيرِهِ.. ولكِنهُ لاَيَمْلكُ إِلاَّ أَن يُذْعِن[4] لرغْبَةِ أَبِى بكرٍ، ويَظَلَّ رَاكِباً جوَادَهُ، بَيْنمَا خَلِيفَةُ رَسُول الله مَاش علَى قَدَميه..

وإِذْ هُمَا كذَلِكَ إِذَا أبو بَكْرٍ يَلتفِتُ إِلى أُسامةَ ويقُولُ لَهُ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُعِينَنِى بعُمَرَ فافْعَلْ..

أَىُّ أَدبٍ هَذَا الَّذِى تَأَدَّبَ به أَبُو بكْر؟ أَىُّ عَظَمَة نفسيَّةٍ تِلك التى يَتَحلَّى بها؟ أَىُّ خُلُقٍ قَوِيمٍ هذَا الَّذى يَتجلَّى فى أَفْعالهِ وأَقْوَاله؟ إِنَّه خليفَةُ المُسْلِمِينَ، وبَيدِهِ أَنْ يُصْدِرَ ما شاءَ مِنَ الأَوَامِرِ، ومِنْ حَقِّه أَنْ يُرسِلَ فى

---

(١) رقة الشمائل : الصفات الحسنة .
(٢) ذروة الشىء : أعلاه .
(٣) غالى : أكثر.
(٤) يذعن : يستجيب .

الجَيْش مِنْ شاءَ، ويَسْتَبْقى مَنْ شَاءَ.. ولكنَّه لم يُرِدْ أَنْ يُشْعِرَ أُسَامَةَ أَنه انْتَزَعَ حَقًّا مِنْ حُقوقِهِ، واسْتَبْقَى عُمَرَ دونَ أَنْ يَأْخذَ رَأْيَهُ..

وكـــان رَدُّ أُسَـــامَـةَ المُوَافَقَـةَ بـالـطَّبْعِ. ثُمَّ وَقَفَ أَبُو بكرٍ يَخْطُبُ الْجَيْشَ قَائِلاً :

وصيـــة أبـــى بكر للجيـــش

((أَيُّها النَّاسُ.. قفُوا أوصكُمْ بعَشْر فاحفَظُوهَا عَنِّى.. لاتَخُونُوا، ولاتَغُلُّوا[1]، ولاَ تَغْـدِرُوا، ولاتُمَثِّلُوا[2]، ولا تَقْتُلُوا طِـفلاً صَغيرًا، ولا شَيْخًا كَبِيرًا، ولاَ امـرَأَةً، ولا تَعْقِـرُوا[3] نَخْـلاً، ولا تَحـرِقُوه، ولاَ تَقطَعُوا شَجَرَةً مُثمرَةً، ولا تَذْبَحُوا شَاةً ولابَقَرَةً ولا بَعيرًا إلاّ لمَأْكَلةٍ. وسَوْفَ تَمُرُّونَ بأَقوام قَدْ فَرَّغُوا أَنفُسَهم فى الصَّوامِعِ[4]، فَدَعُوهُمْ وما فَرَّغُوا أَنفُسَهُمْ لَهُ، وسَوْف تُقْدمُونَ عَلَى قَوْمٍ يأْتُونَكُمْ بآنيةٍ فِيهَا أَلوَانُ الطَّعامِ، فَإِذَا أَكَلتم مِنْها شَيْئًا بَعْد فاذْكروا اسْمَ الله عليهِ، وتَلْقَوْنَ أَقوامًا قَـدْ فَـحَصُـوا أَوْسَاطَ رُءوسهِمْ، وتَركُوا حَوْلَها. مثلَ العصائِب، فاخفقوهُمْ بالسَّيْفِ خفقًا[5]. اندَفِعُوا[6] باسْم اللهِ، أَقْنَاكُمُ الله بالطَّعْن والطَّاعُونِ))[7]. إِنَّ هذهِ الخُطبَةَ تَتَضَمَّنُ المَبَادِئَ الإِسْلاميةَ التى نادَى بها الرسولُ، وتَحمِلُ فى طَوايَاها أَعْمقَ المعانِى الإِنسَانيةِ وأَسماهَا.

وَإِذَا كَانَ أَبو بكرٍ قَدْ وجَّهَ هذهِ الخُطْبَةَ إِلى الجَيْشِ عامَّةً فلم يَفُتْهُ أَنْ يُوجِّه حَديثًا خاصًا لقائِدِ الْجيشِ.. قال لأُســامَةَ، وهو يُوشكُ أَن يَتَحَرَّكَ بالجيش.

---

(١) لاتغلوا : لاتأخذوا بدون حق .
(٢) لاتمثلوا : حرم الإسلام المثلة وهى قطع أعضاء الجسد .
(٣) لاتعقروا : لاتقطعوا.
(٤) الصوامع : جمع صومعة بيت العبادة.
(٥) خفقاً : اقتلوهم قتلا.
(٦) اندفعوا : سيروا بقوة إلى العدو.
(٧) أقناكم الله بالطعن والطاعون : حفظكم الله بسيوفكم ونزل الطاعون بعدوكم.

اصْنَـــعْ ما أَمَرك به نبى الله ﷺ، ابْدأْ ببلادِ قُضَاعَةَ، ثم ائتِ آبل، ولا تُقصِّـــرَنَّ فى شَىءٍ مِن أَمْرِ رسُـــولِ اللهِ، ولا تَعْجَلَـــنَّ لِمَا خَلَّفتَ عن عَهْدهِ[١].

لقـــاء وثـــأر

بعدَ هَذا انطَلقَ جَيْشُ أُسَامَةَ يَقْطعُ الْبِيدَ ويَجُوبُ الفَيَافى[٢] وَيَحْتمِلُ مَشَاقَّ السَّفَرِ فى صَبْرٍ وإِيمانٍ، حتى بَلغَ البلقاءَ[٣] حيْث دارَتِ المَعْرِكَةُ التى اسْتُشْهِدَ فيها وَالِدُهُ زَيدُ بنُ حَارِثَةَ وزميلاَهُ جعفرُ بْن أَبى طالبٍ وعبدُ الله بنُ رواحةَ.. وهَنا قفزتْ إِلى ذِهْنهِ ذِكرَى المعركَةِ السابقةِ، كأَنما دَارتْ رَحَاها أمس.

وعلى الفورِ هَاجَم أُسامةُ القُرَى التى حدَّدَها له الرَّسُولُ وَخَلِيفَتُه، فَقُتِلَ منْ أَهْلها الكَثِيرُ، كما أُسِرَ مِنْهُم عددٌ كَبِيرٌ، وكانَ شِعارُ المُسلمين يَوْمَها: يَا منصور أَمِتْ.

بَعد أَنْ اسْتَسْلَمَ أَهْلُ هذه القُرَى لجيش أُسَامةَ مكَثَ بها يَومًا واحِدًا يَجْمَعُ الغَنَائِم والأَسْلاَبَ، ثم قَفَلوا راجعِينَ، و لم يَفْقِدوا جُنْديًّا وَاحدًا..

وعَلم أَبو بكر بنتِيجةِ الْغَزْوَةِ فَخَرَجَ فى جَمْعٍ منَ المهاجرِينَ والأنصارِ يَستْقبلُ الجيشَ المُظَفَّرَ..

وكانتِ المُدّةُ التى اسْتَغْرَقَها الجَيْشُ فى هذه الغزوةِ أَرْبَعِينَ يومًا، وقِيلَ سَبْعين يَوْمًا..

ودخلَ أُسامةُ المدينةَ على فَرَسِ أَبيهِ «سُبْحَةَ»، واتّجَه على الفورِ إِلى المسْجِدِ، حيثُ صَلَّى ركْعتينِ، ثم انْصَرَفَ إِلى بَيتهِ.

(١) ولاتعجلن لما خلفت من عهده : لاتقصر فيما أمرك به النبى ولاتزد عليه.
(٢) الفيافى : الصحراء الواسعة .
(٣) البلقاء : المكان الذى التقى فيه أسامة بالعدو .

أثـــــر المعــركـــة

أَحْدَثَتْ هذه الغزوةُ دَويًّا هائِلاً فى الجزيرةِ العربيةِ كُلِّها، وفى بلادِ الرومِ أَيْضًا.. فقد اعْتَقَدَ كلُّ من كانُوا يُريدون التحرُّشَ بالمُسْلِمين أَنَّهُمْ قُوَّةٌ لاَ تُقْهرُ، وأَنَّهم استَطاعوا أَن يُهَاجموا الرُّومَ فى عُقْرِ دَارِهم[1]، ويُوْسِعوهُم قَتلاً وَأَسْرًا وتَعذيبًا.

أهــم عوامــل النصــر

كانت «الطاعةُ» هِيَ السِّمة المميزة التى جَلَبتِ النصْرَ لِلمسْلِمينَ فى هذهِ الغَزوةِ..

أَولا : طَاعَةُ أَبى بكرٍ لأَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ، وإتمامُه بَعْثَ أسامَةَ، مخالفًا بِذَلك ما أَرادَهُ الُمْعْترضونَ، وإنْ كانَ لِرَأْيِهمْ وجاهَتُهُ فى ظَاهِرِ الأمر.

ثـانيـاً : طاعـةُ أُسامـةَ لأَمـرِ أَبـى بكـر، وإِن كـان اسْتِمرارًا لأَمـر الرَّسول ﷺ، وهُوَ أَلاَّ يَتوغَّل[2] فى بلاَدِ الرُّومِ، وأَنْ يَكتَفى بمهَاجَمةِ القُرى التى حدَّدَها الرسول ﷺ ولم يُضِف إليها أَبو بَكْرٍ قُرى أُخْرى..

ولكِنْ هَـلْ كانتْ الطَّاعةُ وَحْدَها هى مفتاح النَّصْر فى هَذه الغَزْوةِ، وإِن كَانَتْ - على الأرْجَح - أَهمَّ العَوَامِلِ فيه ؟

الْوَاقِعُ أَنَّ هُناكَ عَوَامِلَ أُخْرَى إِلى جانبِ الطَّاعةِ، جعَلت النَّصرَ سَهْلاً مَيْسُورًا.. هذه العواملُ هى : الإِصْرَارُ على الأَخذ بالثَّأْرِ لشُهَدَاءِ مُؤْتَة، وإِزالةُ الهَيْبةِ العَسْكريَّةِ التى كانتْ تتمتَّعُ بها دولةُ الروم، وتأْمينُ الحدودِ العربيَّةِ من ناحيةِ الشَّامِ، وإِرْهَابُ أَعدَاءِ الله حتى لايُفَكِّرُوا فى مُهَاجمةِ المدِينةِ.

---

(١) فى عقر دارهم : فى عمق دارهم .

(٢) ألا يتوغل : ألا يتعمق .

لَوْ وَضَعْنَا نُصب أَعْيُنِنَا كلَّ هذه الاعتبارات لعـــددنا هـذه الغَزوَة ـ على صِغَرِها ـ مِن أَخْطَرِ الْغَزَوَات فى تَاريخ الإِسلامِ..

إِنَّها حَقَّقَتْ المَزيدَ من الأَمْنِ لِدَولةِ الإِسلامِ دَاخِلِ الجزيرةِ العَربيَّةِ، وأَعْطتْ المُسْلمينَ مَكانةً رَهِيبَةً فى الوَقْتِ الذى كان يتحرشُ بهم اليهود المطرودُونَ من الْمَدينَةِ، وكذلك المشركون الذين فَقَدُوا سُلطَانَهُمْ على أَيْدى المُسلمينَ.

وَهُنَا يتحقَّق المعنَى الذى أَرادَه الرَّسول ﷺ من هذه الغزوةِ، سواءٌ فيما يَتَّصِلِ بنَتائِجها الحَربِيَّة، أَو فيما يَتعَلَّقُ بأُسَامَة وعبقرِيَّتهِ العسكريةِ..

إِن النَّتَائِج ـ كما رَأَيْنَا ـ جاءَتْ وفْقَ ما رَمَىَ إِليه الرسُولُ ﷺ وما استَهْدَفهُ خليفَتُه مِنْ بَعْدِه..

إِن المواهبَ العسكريَّةَ الكامِنَةَ[1] فى أُسامةَ.. كَشَفَتْ عنها هذه الغَزْوةُ، إِذ أَنَّهُ قَاتَلَ ونَاضَلَ وأَسَرَ وَغَنِمَ وانْتَصَرَ دونَ أَن يَفْقدَ رجلاً واحدًا مِمَّنْ خَرَجُوا مَعَهُ، وكان بَعْضُهمْ لا يُؤمِنُ بقِيَادَتِه..

إِذنْ كانَ النبىُّ ﷺ يَنْظُرُ بعَينِ الغَيْبِ عِنْدَما قَالَ عن أُسامةَ : وإِنَّهُ لَخَليقٌ بالإِمارة.. وإِذَنْ كانَ أَبو بَكْر مُؤَيَّدًا بالحقِّ عِندَما صَمَّمَ على إِتْمامِ بَعْثِ أُسَامة، وليكنْ بَعْد ذلِكَ ما يكُونُ..

ماذا كان يُمْكِنُ أَن يُقَال لَوْ أَنَّ أُسَامَةَ أَخْفَقَ[2] فى مُهِمَّتِهِ، و لم يُحْرِزْ هذَا النَّصْرَ؟!

كان المنافِقُونَ والمغرِضُونَ سَيجِدُونَ أَرْضًا خِصْبَةً لزَرْعِ أَشوَاكهِم، وإِدْماءِ تاريخ الإِسْلام بِها..

---

(١) الكامنة : المستقرة فيه .
(٢) أخفق : هُزِمَ.

كانوا سَيُشَكِّكُونَ فى قِيمَةِ الشَّبَابِ، وَعَدَمِ قُدْرَتِهِمْ على الاضطلاَعِ بعظائمِ الأُمُورِ..

كانوا سَيَجْعَلُونَ من هذه الغَزْوةِ مَعْبَرًا للنفَاذ إلى طَعْن المسْلمينَ، والارْتيابِ[1] فى حَقِيقَةِ هذَا الدِّينِ الجَدِيدِ..

وَلَكنَّ الله أَبى إلاَّ أَنْ يُتِمَّ نورهُ، ويُحقِّقَ النَّصْرَ لِلْمُسْلمينَ على يدِ أُسَامَة ضِدّ أَخْطَر دَولَة فى ذلكَ الحين..

تقويم لشخصية القائد

وهناك ناحيةٌ أخرى ينبغى أَن نُلِمَّ بها ولو إلمامَةً عابرة عند تَقْويمنا لشخصيَّة أُسامَةَ.

لَوْ أَنَّ أُسَامَة كَانَ مِن أَعْرَقِ الأُسَر العربيَّةِ حسبًا ونسبًا، وورِثَ من الثروةِ والغنى ما أُتِيح لأَبناءِ سادَةِ القبائلِ العربيةِ لَكَان لِتاريخهِ جوَانِبُ أُخرَى من البذلِ والعَطَاءِ، فَضلاً عن التَّضحِيةِ والفِداءِ..

ولكنَّه كان ابنَ زَيدٍ الَّذى أعتَقَهُ الرسولُ ﷺ، أَى إِنَّه كان فَقيرًا مُجَرَّدًا مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيا.. لم يُولَدْ فى أَحْضانِ الثروةِ، ولم يَتَرَعْرَعْ فى أَفياءِ النَّعِيمِ[2]، ومَعَ ذَلِك اسْتطاعَ أَن يَمْتَلِكَ أَغلى ثروةٍ عرفتها البشريةُ.. ثَرْوَةٍ لو قُدِّرت بها كُنوزُ كِسْرى وقيصر فى تِلَك الأَيَّامِ لَعُدَّتْ هذه الكُنُوزُ شيْئًا ضَئيلاً قليلاً.. إنه اسْتَطاعَ بولائه للهِ ورسولِه أَنْ يمتَلِكَ جانبًا كبيرًا من مَشاعرِ النبىِّ ﷺ وعواطِفِه، حتَّى سمَّاهُ النبى ﷺ «الحِبَّ ابن الحِبِّ» وهذه الثروةُ من المشاعر والعَواطِفِ

---

(١) الارتياب : الشك .

(٢) أفياء النعيم : ظلال النعيم .



النبويَّةِ لايَعْدِلُها شيءٌ مما يُحْرِزُه الأَباطِرةُ[١] فى ذلك الزَّمانِ، أَو فى أى زمانٍ..

كان أُسامةُ مُغْتَبِطًا[٢] بهذه الثَّرْوَةِ أَشدَّ الغبْطةِ، فَرحًا بها أَبْلَغَ الفَرح، ولم يَكُنْ يُفَكِّرُ فى عَرَضِ الدُّنيا[٣] إلا بَقَدْر حاجَتِه، لأَنَّه تعلَّمَ مِنْ نَبيِّه ﷺ أَنْ يعيشَ على الكَفافِ، وحَسبُه لُقيمات يُقمْنَ أَوَدَهُ[٤].



(١) الأباطرة : عظماء الملوك .
(٢) مغتبطاً : مسرورًا.
(٣) عرض الدنيا : كل ما يتعلق بالدنيا من مال ومتاع وولد.. إلخ.
(٤) يقمن أوده: يقمن صلبه ويعيش بها .

المناقشة



س ١ : علل ما يأتى :

(أ) إنفاذ أبى بكر بعث أسامة .

(ب) استئذان الخليفة من أسامة فى أن يبقى عمر بالمدينة.

(جـ) أبو بكر يمشى وأسامة يركب.

س ٢ : «لاتخونوا ، ولاتغلوا، ولاتغدروا، ولاتمثلوا..».

(أ) من قائل العبارة ؟ وما المناسبة ؟

(ب) ما أهم المبادئ الموجودة فى الخطبة ؟

س ٣ : بم أوصى الخليفة أسامة ؟ وعلام تدل الوصية ؟

س ٤ : لماذا لم يبق أسامة فى البلقاء إلا يومًا واحدًا ؟

س ٥ : أكمل مكان النقط فيما يأتى :

(أ) حينما وصل .... أرض .... تذكر .... فغلى دمه وثأر لـ .... مؤتة.

(ب) شد أسامة على .... فأنزل به ....

(جـ) قتل الجيش كثيرًا من .... و .... و........ و .... منتصرًا.

س ٦ : ما السر فى خروج الخليفة والمسلمين، عندما عاد جيش أسامة؟

س ٧ : اختر التعبير الأدق مما يأتى وعلل لما تختاره.

(أ) (انتصر الجيش على العدو ـ خطف الجيش النصر من العدو).

(ب) (طار خبر النصر إلى الخليفة ـ علم أبو بكر بانتصار أسامة).

س ٨ : املأ مكان النقط فيما يأتى :

من أهم عوامل النصر (أ) .... (ب) ....

س ٩ : صل من العمود (أ) ما يناسبه من العمود (ب) فيما يأتى :

(أ)	(ب)
دلل أسامة على	هيبة الروم.
قضى أسامة على	أنه قائد ممتاز.
أخرس النصر	لما وصل إلى البلقاء.
تذكر أسامة الثأر	ألسنة غير المسلمين.
	تأمين حدود الدولة من ناحية الشام.

س ١٠ : ما موقف غير المسلمين، فيما لو هزم أسامة ؟

س ١١ : ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتى :

(أ) قضى أسامة على هيبة الروم فى يوم واحد. ( )

(ب) لم تبرز معركة البلقاء أى موهبة لأسامة. ( )

(جـ) لم تزل الروم بعد البلقاء مصدر قلق للدولة الإسلامية. ( )

(د) كانت معركة البلقاء ثأرًا لشهداء مؤتة . ( )

س١٢ : اكتب مقالاً لصحيفة المدرسة تتحدث فيه عن شخصية أسامة الحربية .





كَيْفَ أَمْضَى أُسامةُ بنُ زَيدٍ بَقِيَّة حَيَاتِهِ بَعْدَ انْتصاره على الرّوم . هَلْ قَرَّرَ أَنْ يَعتَزِل الجهادَ رَدًّا على المُتذَمِّرين مِنْ تَعْيينه قائِدًا لِلجَيْشِ ؟ وَلكِنْ لماذا يَعْتَزِلُ الجهادَ ؟

إنَّهُ قَدَّمَ أَرْوَعَ دَليــلٍ علَى أَنَّه جَــديرٌ بِالقِيادَةِ ، خَلِيق[1] بالإِمارَةِ ، وقد اكْتَسَب بَعد انْتِصارِهِ على الرُّومِ ثِقَةَ مُؤَيِّدِيه ومُعارِضِيه على السَّواءِ .

اشتراك أسامة فى حرب المرتدين

ولأنه فُطِر[2] على حُبِّ الجِهادِ فقَدْ أَبَتْ نَفسُه أَنْ يُخْلِدَ[3] إِلى الرَّاحةِ، وهو أَشَدُّ ما يكُونُ حاجةً إِلَيْها .. وذهبَ صَباحَ عَوْدَتِهِ مِنْ أَرْضِ البَلْقَاءِ إِلى بيتِ أَبى بَكرٍ ، وطلَبَ أَنْ يأْذَنَ لهُ بالْخُرُوجِ لِحرْبِ المُرتَدِّين.

كانَ أَبو بكْرٍ بحاجَةٍ إِلى كُلِّ جُهْدٍ عَسْكَرِيٍّ فى تلك الفَتْرةِ العصيبَةِ، مما جعَلَهُ يأْذَنُ لأُسامةَ على الفَوْرِ .. ومن ثَمَّ اسْتَطاعَ القائدُ الشَّابُّ أَن يَنالَ شَرَفَ الاشتِراكِ فى القَضَاءِ على أَهل الرِّدَّة ، والإِسْهامِ فى قَمْعِ[4] الفتنَةِ فى الجزيرة العربية .

وظَلَّ أُسامةُ بعد ذلك يشارِكُ فى الفُتُوحاتِ الإِسْلاَمِيَّةِ . فَما إِن تَلُحْ سانِحة[5] للجهاد حتى يُجرِّدَ سِلاَحَه ، ويَخْرُجَ غَازِيًا فى سَبيلِ اللَّه ..

---

(١) خليق : يستحق .
(٢) فطر : خلق .
(٣) يخلد : يركن .
(٤) قمع : إخماد .
(٥) تلوح سانحة : تظهر .

ومِنْ هُنَا لَقى أُسامةُ مِنْ أَبِى بكْرٍ كُلَّ تَكْرِيم وإعْزَاز .. ولَقى كذَلِكَ من عُمَرَ نفْسَ التَّكْرِيم ، ونَفْسَ الإِعْزَازِ .. حتَّى إنَّ عمر حينَ أَرادَ تَقْسِيمَ الأَنصبةِ مِنْ بَيْتِ المـــالِ ، جعَـــلَ نَصِيب أُسَامةَ خَمْسَةَ آلافِ دِرْهَم، بَيْنما جَعلَ نَصِيب ابْنهِ عبد اللهِ ثلاثةَ آلاف دِرْهمٍ فقطْ..

وَلا تَأْخذنَا الدَّهْشَةُ إذا رَأَيْنا عبْدَ الله بنَ عمَرَ يثُورُ على هذِهِ القِسْــمةِ ويعدُّها مُجْحِفَةً بهِ[1] ، ولا تأْخُذنا الغَرَابةُ أيضًا إذا رَأَينا عبدَ الله يَذْهَبُ إلى أَبِيهِ ، ويَسْأَلُه فى أَسى وأَسفٍ عَنْ سِرِّ تَفْضيلِ أُسَامةَ علَيْهِ ..

إِنَّه ابنُ خَلِيفةِ المُسْلمِينَ ، وليْسَ أَقلَّ شَأْنًا فى الجِهَادِ من أُسَامَةَ .. فلِمَاذا لا يَتساوى مَعَه ـ على الأَقلِّ ـ فى الأَخْذِ مِنْ بَيْتِ المالِ !!

تَجَاسَر[2] عَبْدُ الله عَلى أَبيهِ ، وَوَجَّه إلَيه هَذَا السُّؤالَ :

ـ لِماذَا تَجْعَلُ نَصيبَ أُسامةَ بنَ زَيْدٍ أَكْبَرَ مِنْ نَصِيبِى من بَيْتِ المالِ؟

قالَ هَذِه العِبَارةَ ، وتَوَقَّعَ أَن يكونَ الرَّدُّ مُحققًا لِرَغْبَته ..

إلاَّ أَنَّ الرَّدَّ جاءَ عَلى عكْسِ ما تَوَقَّعَ .. قالَ له عُمَرُ ولهَجَتُه تفيضُ بالحَزم[3] والجِدِّ : « إنَّ أُسامَةَ كان أَفضلَ عِنْدَ النَّبِيِّ مِنْكَ .. وأَبَاهُ كانَ أَفْضَلَ عندَ النَّبىِّ من أَبيكَ » .

رَدٌّ لا تَجُوزُ فيهِ مُنَاقَشَةٌ أو جَدَلٌ .. ممَّا جعلَ عبدَ الله يغُضُّ الطَّرْفَ خَجَلاً ، ويَنْسَحِبُ فى اسْتحْياءٍ مِنْ أَمام أبيهِ .

وكما كانَتْ لأُسامةَ مَواقِف مشهودةٌ دَافَعَ فيها عن النَّبىِّ ﷺ ، وعَن

(١) مجحفة به : ظالمة .
(٢) تجاسر : تجرأ .
(٣) الحزم : الشدة .

دين الله ، والخَطَرُ مُحْدِقٌ بهِ[1] ، والمَوْتُ من حَوْلِه يَتَخَطَّفُ الأَرْوَاح ، فَقَدْ كانَ له مثْلُ هذه المواقِفِ مَعَ خُلَفَاءِ النَّبىِّ ﷺ .

أسامة يحاول الدفاع عن عثمان

ويَحْضُرُنَا فى هذا المجال موقِفُهُ يومَ الفِتْنةِ التى شَبَّتْ فى عَهْدِ عُثْمانَ، حيْثُ أَحاطَ الثَّائرون بِبَيْـــتِ الخَليفةِ يُحَاوِلُونَ اقْتِحامَه ، والاعْتِداءَ عَلى حَياتِه ..

يَوْمَها جَرَّدَ أُسامةُ سَيْفَه ، وتَقَلَّدَ درْعَهُ[2] ، وذَهبَ إلى بَيْتِ عُثْمانَ والأَلَمُ يَحزُّ فى نَفْسه لما بَدَرَ مِنْ بَعْضِ المُسْلِمينَ تجاهَ الخَلِيفَة ، وَعَزّ على عثْمانَ أَن يُدَافعَ عَنهُ ..

نَظرَ عُثْمانُ إلى أسامَةَ نَظرَةَ امْتزَجَ فيها التَّقْديرُ بالإِشْفَاقِ . إِنَّهُ يَعْلَمُ خُطورَةَ الْمَوْقِفِ ، ويَعْلَمُ أَنَ الدِّفَاعَ عَنْهُ سَيعَرِّضُ حَياةَ المُدافعينَ للْخَطَرِ، بل لِلموْتِ ، ومن هنا كان عُثمانُ حريصًا عَلى أَلا يُقْتَلَ أَحَدٌ بسَببه ، بل حريصًا أشدَّ الحِرصِ على أَلاَّ يَرْفعَ مُسْلِمٌ سِلاَحَهُ فى وَجْهِ مُسْلِمٍ مهمَا يكنْ السَّببُ ..

وَلِهَذَا بادَرَ[3] بِرفْضِ طَلبِ أُسَامةَ ، وهُو أَشَدُّ ما يكونُ احْتِياجًا إِلَيْهِ فى هذِه المِحْنةِ .. وظلَّ عُثمـــانُ يُكرِّرُ هذَا الرَّفْضَ عَلى كلِّ منْ جاءَ مُتَطَوِّعا للِدِّفَاعِ عنْهُ ..

إلاَّ أَنَّ الفِتْنَةَ كانَتْ تَشتَدُّ يومًا بعْدَ يومٍ ، وسَاعةً بَعْدَ أُخْرى ، حتى تَمكَّنَ الثَّائِرُونَ مِنَ التســـلُّلِ إلى الخَليـــفةِ ، وقَاموا بِقتْلِه ، وهُوَ يَقْرَأُ الْقُرآنَ.

(١) محدق به : الخطر يحيط به .
(٢) تقلد درعه : لبس درعه .
(٣) بادر : أسرع .



أسامة يعتزل الجهاد ويعكف على العبادة

وعِندَمَا عَلِمَ أُسامةُ بالجَرِيمةِ الشَّنْعَاءِ التى ارْتَكبها الثَّائِرُونَ ، كادَ الحُزْنُ يقضى عليْه ، فقرَّرَ أَنْ يعتزلَ الجهادَ ويَعْكف[1] عَلى الْعبَادَة والصَّلاة ..

كما قَرَّرَ أَنْ يَعْتَزِلَ الْمَدِينَة أَيْضًا ، ويُقيمَ بِأَرْضِ الشَّام .. وظَلَّ هُنَالكَ حتَّى أَدْركَتْهُ الشَّيْخُوخَةُ ، ودَبَّ فى جَسَدِهِ الْوَهَنُ[2] .. وأَحَسَّ أَنَّ المَوْتَ يَقترب منهُ كلَّ يَوْم..

فَتَاقَتْ نَفسه[3] إلى أَن يَعُودَ لِلمَدينةِ مَرَّةً أُخْرَى لِيُلْقى آخِرَ نَظرةٍ على الأَرْضِ الَّتِى شهدت أيَّامَهُ الأُولَى فى الجِهادِ .

ذكريات أسامة فى المدينة

عِنْدما وَصَلَ إِلى المَدينَةِ انْبَعَثَتْ فى نَفسِهِ ذِكْرياتُ ثَمَانيةَ عَشَرَ عامًا أمْضَاها معَ النَّبىِّ :

فى هَذَا المَكانِ جَلسَ إلىَ النَّبِىِّ ﷺ يستمِعُ منه إلى وَحْىِ السَّماءِ ..

فى هذا الطَّرِيقِ سارَ بِجَانِبه يَتَعَلَّمُ مِنْهُ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ ..

فى هذه البُقْعَةِ شَهِدَ النَّبِى يَمْسَحُ دُمُوع اليَتَامَى ويُعِينُ البائِسينَ .

منْ هذِه البِئْر رأَى النَّبِى ﷺ يَتَوضأُ ، اسْتِعدادًا للصَّلاةِ .

ذكريات أسامة فى الجرف

ذِكرَياتٌ ما أَجْملَها وأَحْلاَها فى نفس أُسَامَةَ .

بل ما أَروَعَ صُورها حين تتواردُ على مُخَيِّلَته .

---

(١) يعكف : يتفرغ .

(٢) الوهن : الضعف .

(٣) تاقت نفسه : اشتقات نفسه .

ثمَّ تكتَمِلُ اللَّوحةُ الساحرة لهذِه الذِّكْرَيَات .. حين يخرج أُسَامةُ إِلى الجرفِ .. وتَتَمَثَّلُ أَمَامَ نَاظرَيْه رُؤَى مِنَ المَاضِى البَعيد .. بَعْضُها باسِمٌ.. وبَعضُها شَاحبٌ ..

إِنَّهُ فى هذِهِ الأَرْضِ شَهدَ ذِرْوَةَ مَجْدِه[1] حينَ أَمَّرهُ النبىُّ ﷺ على الْجيْش ..

وشَهِدَ أَيضًا ذِروَةَ حُزنِهِ حين جاءَهُ النَّبأُ بأنَّ شَمْسَ النُّبُوَّةِ فى طَرِيقها إِلى المغيبِ ..

مشْهدَانِ لا يسْتَطيعُ أُسامَةُ أَن يَنْسَاهُما ، مَهْما طَالَ به الأَمَدُ ، ومَهْمَا امْتَدَّ به العُمْرُ .

مَشْهدانِ امْتَزَجَتْ فيهمَا أَعْمَقُ الابْتِسامَات بأَبْلَغِ الحَسَراتِ .

مثـــوى أســـامـــة

مَشْهَدَانِ جَعَلا أُسامَةَ يُقَرِّرُ أَنْ يَكُونَ مَثْواهُ[2] الأَخيرُ فـى أَرضِ الجَرْف. فَمَكَثَ بها ما شاء الله أَنْ يَمْكُثَ ، حتى وافاهُ الأَجَلُ المَحْتُومُ.. ولحظَتَها سَكَنَ القَلْبُ الذِى طالَمَا نَبَض بحُبِّ الله وَرَسُولِه.. وتَوَقَّفَ اللِّسانُ الَّذِى لَمْ يَتَوَقَّفْ لَحْظَةً عَنْ ذِكْرِ الله.. وشحبَ الوَجْهُ الَّذِى طالَما طَبَعَ النَّبِىُّ عَلَيهِ قُبُلاته فى رِقَّة وحنان .

وكَما شَهِدَتْ أَرْضُ الجَرفِ أُسَامَةَ :

الشَّابَّ .. القَائِدَ .. البَطَلَ .. يَتَقَدَّمُ الْجَيْش فى ثِقَةٍ واعتزاز لِحَرْبِ الرُّوم ، وهُو أَنْضَرُ ما يَكُونُ شَبَابًا ، وأَكملُ ما يكونُ فتوة ، شهدَتْهُ شَيْخًا مُسَجّى يَتوارَى تحت أَحجَارهَا العَجَائِزِ فى يوم صامتٍ حزين إِلاَّ أَنَّ نُورَ بطُولَتهِ ظَلَّ مُحَلِّقًا فى سَمَاء الخَالدِينَ ، يُطلُّ دائمًا على الدُّنيا بأَروعِ معانى الشَّجاعةِ والإِقدامِ .

(١) ذروة مجده : قمة مجده .

(٢) مثواه : مرقده الأخير .



المناقشة

س١ : علل ما يأتى :

(ا) كسب (أسامة) ثقة مؤيديه ، ومعارضيه .

(ب) استأذن (أسامة) الخليفة فى أن يشترك فى الحرب ضد المرتدين.

(جـ) رفض (عثمان) عرض (أسامة) .

س٢ : صل العمود (أ) بما يناسبه من العمود (ب) فيما يأتى :

(أ)	(ب)
جعل عمر	فرس زيد.
ذهب أسامة إلى بيته	عطاء أسامة خمسة آلاف.
سبحة	بعد أن صلى فى المسجد ركعتين.
حرص عثمان	فرس أسامة.
	على ألا يُقتَلَ أحدٌ بسببه.

س٣: ما السر فى خروج أسامة إلى الشام ؟

س٤ : علل ما يأتى :

(ا) عودة أسامة إلى المدينة .

(ب) اعتزل أسامة الجهاد وعكف على العبادة .

(جـ) انسحب عبد الله بن عمر فى استحياء .

س٥ : اختر الإجابة الأدق لما يأتى :

صلة أسامة بالشام :

(ا) فيه لقى أبوه الشهادة .

(ب) فيه ثأر لشهداء مؤتة .

(جـ) فيه ذكرى استشهاد أبيه والثأر له .

أسئلة عامة

س١ : ولد أسامة فى جو مفعم بحرارة الجهاد فى سبيل الله ، وعاطر برائحة الوحى فى بيت النبى ، ومشرق بلمحات القرآن فى مجلس الرسول .

(ا) هات معنى (مفعم) ، ومفرد (لمحات) .

(ب) كان للجو الذى نشأ فيه أسامة أثر على تربيته النفسية. وضح ذلك .

(جـ) اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يأتى :

أم أسامة (زينب ـ خديجة ـ أم أيمن) .

جد أسامة (زيد ـ محمد ـ حارثة) .

(د) ما صلة أسامة بالنبى ﷺ ؟

س٢ : لبيت أسامة وتوجيهات النبى ﷺ آثارهما على بطولة أسامة المبكرة . اشرح ذلك .

س٣ : طبق المسلمون الأوائل أحدث النظريات فى التربية وعلم النفس . دلل على صدق العبارة من خلال دراستك للقصة .

س٤ : كانت شخصية الرسول جذابة ومؤثرة .

اشرح ذلك من خلال صلة الرسول بأسامة .

س٥ : علل ما يأتى :

(ا) اختار زيد محمدًا على أبويه .

(ب) أعلن النبى فى حجر إسماعيل تبنيه لزيد بن حارثة .

(جـ) زوّج النبى زيدًا من زينب بنت جحش .

س٦ : خرج أسامة للجهاد . ورده المسلمون فى الطريق .

متى كان ذلك ؟ ولماذا ؟ وعلام يدل ؟

س٧ : كان يتمنى أن يكون جنديًّا فى الجيش فولاه النبى القيادة .

(ا) ما المعركة التى تولى أسامة قيادتها ؟ وهل نجح فيها ؟

(ب) كم كانت سن أسامة حينما ولاه النبى القيادة ؟

(جـ) ما موقف الأنصار من ذلك ؟

س٨ : لماذا كان النبى حريصًا على قيادة أسامة لجيش الروم ؟

س٩ : هل حقق أسامة للدولة الإسلامية ما كان يرجوه النبى ﷺ ؟ ومتى ؟

س١٠ : التقى زيد وأسامة بعدو واحد فى أرض واحدة فى زمن مختلف . اشرح ذلك .

س١١ : اكتب مذكرة تاريخية مختصرة عن كل ما يأتى :

(ا) أم أيمن الحبشية .

(ب) زيد بن حارثة .

(جـ) جعفر بن أبى طالب .

س١٢ : وضح بالأمثلة مظاهر حب النبى لأسامة ، وتفانى أسامة فى حب النبى ﷺ .





الموضـــــوع		الصفحة

رقم الإيداع : ٢٠١٢/٢٧٠٧



- الصـ ق أقصر الطرق إلى الإقناع .
- التعليم حق للجميع .. فاحرص على أن تكون دائمًا جـ يرًا بهذا الحق .
- القراءة تغذى العقل .. والرياضة تقوى الجسم .. والفنون تهذب الإحساس .
- من الإيمان أن تهتم بنظافة بـ نك ، وملابسك، وبيتك ومـ رستك.
- الإنتاج هو طريقنا إلى القوة والرخاء .
- تلوث الطعام وتعرضه للذباب والحشرات، يساعـ على انتشار الأمراض .
- استعمال المرحاض الصحي والحفاظ على نظافته والإبقاء عليه مغلقًا وغسل الأيـ ى، يحـ من الإصابة بالأمراض .
- قـ تؤدى البلهارسيا إلى مـ ساعفات صحية خطيرة للأطفال والبالغين .
- يتم العلاج من البلهارسيا الآن بتناول جرعة واحـ ة من الأقراص ، وهى صحية وآمنة ومتاحة فى الوحـ ات الصحية كافة بلا مقابل .
- اغرس شجرة ، أو ازرع زهرة .. تجـ كل ما حولك سعيـ ًا باسمًا.

مقاس الورق	ورق المتن	ورق الغلاف	ألوان الكتاب		عـ د صفحات الكتاب	مقاس الكتاب
			المتن	الغلاف		
$\frac{١}{١٦}$ ٧٠ × ١٠٠ سم	٧٠ جم أبـ ض	٢٠٠ جم كوشيه	١ لون	٤ لون	٧٢ بالغلاف	١٧ × ٢٤ سم

طبع بمطابع دار نهـ ـة مصر للنشر بالسادس من أكتوبر

